إضاءات على شعر كمال إبراهيم

بقلم:

نخبة من النقاد والكتاب

إضاءات على شعر كمال إبراهيم

دراسات ومقالات

لنخبة من النقاد والكتاب

إعداد الشاعر: كمال إبراهيم

تصميم الغلاف الفنانة: ملكة زاهر لالا

التّصميم الدّاخليّ "دار الحديث"

إصدار دار الحديث

للإعلام والطّباعة والنّشر بإدارة: فهيم أبو ركن

ص.ب 55 – عسفيا

تلفون: 8391230 - 04

نقّال : 7595427-54-972+

alhadeth19@gmail.com

يُمنع نسخ أو تصوير أو استنساخ أيّ نصٍّ بدون إذن خطيّ من المؤلّف.

حقوق الطّبع محفوظة للشاعر: كمال إبراهيم

دار الحديث ©

الطّبعة الأولى: 2023

جدول محتويات الكتاب

المقدمة - بقلم: كمال إبراهيم 5

استعراضٌ لمجموعات (روحانيَّات 1 – 6) بقلم: حاتم جوعيه 9

مقدمة الكاتب الأردني لديوان "روحانيات 5" توفيق نجم 33

رحلة كمال إبراهيم مع الشعر – د. نبيه القاسم 35

كلمة اعتزاز بشاعر مبدع – بقلم: نبيل عودة 42

مداخلة حول ديوان "رحيق وعسل" – بقلم: فهيم أبو ركن 47

فنية الإيجاز في مجموعة "همس السكون" – بقلم: د. منير توما . . . 49

حالة حب في زمن الحرب – بقلم: د. جودت عيد 62

"أنا وأنت والشعر" – بقلم: د. بطرس دلة 67

حول مجموعة "صراع الكلمات: – بقلم: علي هيبي 70

"أوركسترا السُّكون" دراسة النص الموازي والمتن والعناوين – بقلم: د. نبيل طنوس 77

صدر للمؤلف 93

مقدمة

إلى القراء الكرام:

يسعدني أن أهديكم هذا الكتاب الذي يشمل عشرة مقالات نقدية من كبار الكُتَّاب والشعراء والنقاد الذين تناولوا في مقالات مشرفة انتاجي الشعري في مناسبات عدة منها قراءات في ندوات أقيمت لي حول إشهار مجموعاتي الشعرية في قاعات مختلفة منها في المغار والرامة وبيت جن وعسفيا وشفاعمرو، ويشرفني في هذا الكتاب الْمُهدى إليكم أن تقرأوا ما كَتَبَ هؤلاء عن إنتاجي الشعري واطِّلاعهم على المستوى الشعري لقصائدي في مجمل القضايا والمواضيع؛ منها الروحانية والوطنية والاجتماعية والإنسانية والغزل، الغزل الذي كنت أكتبه قبل تسلمي دين التوحيد، وقبل أن توقفت عن كتابته بسنين.

آمل ويشرفني أن يعجبكم ما ستجدون في الكتاب من متعة في القراءَة، وأن تطَّلِعُوا على مكانتي الشعرية التي شهد لها الخبراء في هذا الكتاب من حيث مستوى شعري الذي يلقى كثيرًا من التقدير والتبجيل من كافة الكُتَّاب الذين كتبوا عني هذه المقالات المتعددة.

لكم مني أمنيتي أن يلقى الكتاب إعجابكم ورضاكم من حيث المستوى النقدي للمجموعات الشعرية المختلفة، التي تناولها الكتَّاب والتي يشملها هذا الكتاب مع تحياتي وتقديري لكم ولأصحاب المقالات المختلفة المطروحة أمامكم.

باحترام كمال إبراهيم

استعراضٌ لمجموعة قصائد من دواوين (روحانيَّات 1 ـ 6) للشاعر الأستاذ كمال إبراهيم

بقلم: حاتم جوعيه

مقدمة:

الشاعر والكاتب والإعلامي الأستاذ كمال ابراهيم من مواليد مدينة المغار عام 1951، أكمل

دراسته الابتدائية في مدينة المغار والثانويَّة في قرية الرامة وتابع دراسته الجامعيّة في الجامعة العبرية – القدس في مواضيع اللغة العربية وآدابها واللغة العبريَّة وحصل منها على اللقب الأول (B.A) عام 1974.

وبعدها عمل في مجال الصحافة والإعلام حتى عام 1078 حيث سافر بعدها إلى الولايات المتحدة والتحق بجامعة كاليفورنيا بلوس انجلوس وتابع دراسته في موضوع اللغة العربية وآدابها وحصل منها على شهادة الماجستير (M.A). وتابع وواصل في كتابة الشعر والأدب. وأثناء دراسته في أمريكا كان يعمل مراسلا لعدة إذاعات عالميّة. وبعد تخرّجه من الجامعة ورجوعه إلى البلاد عمل في سلك التعليم حتى خروجه للتقاعد.

والجدير بالذكر أنه أثناء دراسته في جامعة لوس أنجلوس كان قد نظّمَ

مهرجانا شعريا كبيرا ودوليا شاركَ فيه أكثر من 18 شاعرا من كبار الشعراء من عدة دول عربية وأجنبية، وتولى هو عرافته. وفي سنة 2009 أقام وأنشأ موقع سبيل للثقافة والادب والإعلام وما زال هذا الموقع يعمل إلى الآن.

أصدر الأستاذ كمال إبراهيم حتى الآن أكثر من 40 ديوان شعر وكتابا في النقد الأدبي. وهو من أكثر الشعراء والكتاب المحليين نشاطا وحضورا وانتاجا أدبيا (كما وكيفا). وقد لحنوا له حتى الآن أكثر من 300 قصيدة شعرية من كلماته ونظمه من قبل ملحنين وموسيقيين من مختلف الدول العربية. وأجروا معه الكثير من اللقاءات الصحفية المطولة: محليا وعلى امتداد العالم العربي (في المجلات والصحف الورقية والالكترونيَّة والمواقع والإذاعات ومحطات التلفزة)، هو أكثر شاعر عربي لحنوا له قصائد شعرية حتى الآن إذا استثنينا الشاعرين الكبيرين أحمد رامي وبيرم التونسي اللذين غنت الكثير من قصائدهما كوكب الشرق أم كلثوم.

استهلال:

سأتناولُ في هذه المقالةِ مجموعة قصائد من دواوينه الشعريَّة (روحانيات – من جزء 3 و4 و5 و6) من خلال الاستعراض والتحليل.

الشاعرُ الأستاذ كمال إبراهيم من الشعراء المبدعين والْمُمَيَّزين فنيًّا محليًّا وأكثرهُم تألقا وشهرةً وانتشارا. وهو من الشعراء المحليين القلائل

الذين لا يخطئون في قواعد اللغة العربية والْمُتمَرِّسين والضليعين في اللغة العربيَّة ويعرفون الأوزانَ الشعريَّة، لأنّ معظم الذين يكتبون الشعرَ محليًّا (أكثر من (90 بالمئة) لا يعرفون قواعدَ اللغة العربية وصرفها ونحوها وحتى أنهم لا يعرفون كتابة الإملاء، ويسرقون القصائدَ الشعرية عن غيرهم وينسخونها خطأ. وتقامُ دائما لأولئك الشعراء المزعومين الشويعرين والشويعرات وللأسف الكثير من الأمسيات التكريميَّة بعد صدور أيِّ كتاب أو ديوان شعر لهم وهو ليس من تأليفِهِم. ويتحدثُ في أمسياتِ تكريمهم الهزيلة والهزليَّة بعضُ النويقدين المتطفلين والمتسلقين على الأدب والذين لا يفهمون شيئا في النقد الأدبي والفني. وأما الشاعرُ القديرُ والمبدع الأستاذ كمال إبراهيم فقد أقاموا له الكثير من الأمسياتِ التكريميَّةِ احتفاء بإصداراتهِ الإبداعيةِ، وهو يستحقُّ كلَّ تكريم وكلَّ تبجيل واهتمام وبجدارة. ولقد تحدَّثَ في أمسياتهِ خيرةُ النقاد والأدباء المحليين الذين يُشارُ لهم بالبنان.. كان يشاركُ ويحضرُ الأمسيات التي تُقامُ لتكريمه وبشكل دائم جمهورٌ غفير، وخاصة من المثقفين والشعراء والكتاب والفنانين.

لقد كتبَ وأبدع شاعرُنا كمال إبراهيم في جميع الألوانِ والأنماط الأدبيَّة. وعالجَ في كتاباته جميعَ المواضيع، مثل: الوصف، الرثاء الاجتماعيات، الحكمة والفلسفة والتصوف والروحانيَّات...وغيرها.

والجديرُ بالذكر أنه قي الآونة الأخيرة وبعد أن تَديَّنَ وكرَّسَ حياته ووقته

للدين والإيمان والتقوى وعبادة الله جلّتْ قدرتُهُ ركّز في كلِّ شعرهِ وكتاباته على الجانب الروحاني (الروحانيَّات) وللإيمان ولمناجاة الخالق.

ويتحدثُ في شعرهِ وبكثرةٍ، في قصائده الروحانيَّة، عن موضوع السلام والمحبة.

كتبَ الاستاذُ كمال إبراهيم الشعرَ على جميع أنماطهِ وألوانه.. كتبَ شعرَ التفعيلة والشعر الكلاسيكي التقليدي (الموزون والمقفَّى) والشعرَ الحديث المتحرر من الوزن، وأبدع وتألقَ فيهم جميعا أيُما إبداع. ولكنه منذ سنوات قليلة ابتعدَ عن كتابةِ الشعر الكلاسيكي الموزون والمقفى وركّزَ وكرَّسَ كلَّ كتاباتهِ في مضمار الشعر الحديث مجاراة مع ركب التطور والحداثة في مسيرة الشعر العربي الحديث، بيد أنَّ شعرَهُ الحديث فيه إيقاعات وجرس وفيه موسيقى داخليَّة، ولكنه لا يلتزمُ بوزن واحد وبتفعيلة واحدة في الجملة الشعريَّة.

وهنالك قاعدة ونظريّة تقول: لا يستطيعُ الشخصُ أن يُجيدَ كتابة القصيدة الحرَّة الحديثة إذا لم يكن مُتمكّنا من كتابة القصيدة الشعريَّة العموديَّة التقليديَّة الموزونة والْمُقفّاة. والأستاذ كمال إبراهيم هو ضليع ومتمرسٌ ومبدعٌ في كتابة القصيدة العمودية التقليدية وفي قصيدة التفعيلة وفي الشعر الحديث أيضا. وهو يستعملُ في شعرهِ أسلوبَ السهلِ الممتنع.. أي انه يستعملُ في كتاباتهِ جملا وعبارات بسيطة ومفهومة ولا

يوجدُ فيها إطلاقا غلوٌّ وغموضٌ وطلاسم ولكن مستواها عالٍ، ويكونُ لها أبعادٌ ودلالاتٌ عديدة وَمُتشعّبة بلاغيَّة وفكريَّة وفلسفيَّة وموضوعيَّة وغيرها، ولا يستطيعُ كلُّ شاعر أن يكتبَ في مستواها وجماليَّتها. بيد أنهُ يلتزمُ بالقوافي في نهايةِ كلِّ سطر وجملة شعرية في معظم قصائده الحديثة التي يكتبها. ونستطيعُ أن نقول ونستعمل هذه العبارة: (لزوم ما لا يلزم) لأن كلَّ الشعر الحديث المتحرر من الأوزان لا يوجد فيه أيُّ التزامٍ وتقيُّدٍ بالقوافي في نهاية كل جملة شعرية إلا عند شاعرنا القدير الأستاذ كمال إبراهيم، حيث نرى نهاية كل جملة في القصيدة يختمها ويقفلها بنفس القافية.. وهذا ما يميّزهُ عن جميع الشعراء الذين يكتبون الشعر الحديث – محليًّا وخارج البلاد لأن معظم القصائد الحديثة عند جميع الشعراء العرب لا يوجد فيها قوافي إطلاقا في نهاية الجمل الشعريَّة.

يقفُ الأستاذ كمال الآن وبكلِّ جدارةٍ شامخا في طليعةِ روَّاد الحداثة والإبداع في مسيرةِ الشعر المحلي الحديث... ولقد صدق الذي قال عنهُ: (هو ما بعدَ بعدَ بعدَ الحداثةِ). وله أسلوبٌ وطابَعٌ مُمَيّز وأريج ونكهة خاصة في شعرهِ. وكلُّ من يقرأ لهُ أية قصيدة ومن دون أن ينظرَ إلى اسم كاتبِها سيعرف مباشرةً أن هذه القصيدة للأستاذ كمال إبراهيم. وبكلماتٍ مختصرة إنهُ صاحبُ أسلوب وطابع ومدرسة مميَّزة ومتفرّدة في الشعر الحديث مثل شعراء الحداثة والتجديد الكبار الذين لكلِّ واحد

منهم له أسلوبه وطابعه الخاص وبصماته الإبداعية الحديثة المميَّزة – كنزار قباني وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة وغيرهم، الذين أوَّل من كتبوا شعر التفعيلة في العالم العربي في أواخر الأربعينيَّات من القرن الماضي.

والجديرُ بالذكر ان هنالك شعراء لهم أكثر من 60 سنة في عالم الكتابة والشعر ولا يوجدُ لهم أيُّ أسلوبٌ وطابعٌ مُميَّز في كتاباتِهم الشعريّة، فهم مقلدون لا أكثر، ويجترُّون ويعيدون دائما ما قالهُ وما كتبهُ الذين قبلهم من مواضيع وأفكار ومعان وصور شعرية أكل الدهرُ عليها وشرب.

مدخل:

ولندخل الآن إلى استعراض وتحليل قصائد للشاعر كمال إبراهيم من عدة دواوين له متتالية بعنوان:

روحانيَّات (من: جزء 1 - 6).

سأستهلُّ وأبدأ بقصيدة له من ديوانه (روحانيات 3) بعنوان: (أزهار الربيع – صفحة 7 – 8) حيثُ يذكرُ الشاعرُ في هذه القصيدة جمالَ الطبيعة وسحرها في شهر نيسان – الشهر الذي يرمزُ إلى الشباب والجمال والكمال والسحر والبهاء والتألق، وتكون الأرضُ في قمةِ زينتها وتألقها وروعتها وجمالها. يصف الشاعرُ جمالَ الطبيعة في هذا الشهر، ويذكرُ بعضَ أنواع الأزهار والأشجار المثمرة والمنوِّرة والتي تزهرُ في هذا

الشهر الجميل. وفي نفس الوقت يتطرقُ شاعرنا إلى مواضيع أخرى هامَّة في نفس القصيدة كموضوع السلام، ويتمنى، بدوره، أن يعمَّ السلامُ والأمنُ والهدوءُ في كلِّ مكان. ودائما يُصلي ويطلبُ من الله جلت قدرتهُ أن يمنعَ وَيُوقفَ الحربَ والاحتلالَ والدمار، ولينعم الناسُ ويستمتعوا بجمالِ الطبيعة والحياة. يقول في القصيدة:

(أزهارُ الطبيعةِ تُزهرُ في نيسان // التفاحُ والبرتقالُ يملأ البستان
يا لجمالِ الطبيعةِ والأقحوان // ليت البلادَ يزولُ عنها العُنفوانْ
يا إلهي امنعِ الحربَ والأحزانْ // عن بلادِ الانبياءِ وكافةِ الأوطانْ)

وله قصيدةٌ موضوعها شهر رمضان (روحانيَّات 3 – صفحة (28)، يتحدثُ فيها عن محاسن هذا الشهر الفضيل – شهر الخير والبركة والمحبة والتسامح والعبادة والتقوى، والذي تُستجابُ فيهِ الدعواتُ، وتتعزَّزُ في هذا الشهر الروابط والوشائجُ الاجتماعية والإنسانيّة. ويلتزم الشاعرُ بقافية واحدة في القصيدة، بيد أن القصيدة لا تلتزم بوزن واحد معين. يقول فيها:

(رمضانُ شهرُ الفضيلةِ والصيام // فيه تتجلى النفوسُ ويحلُّ السلامْ//
تزولُ عن المؤمنين متاعبُ الأيّامْ // فيه يدنو الصائمُ من الله القدوس السلام //.. تزولُ عنهُ شرورُ النهارِ وإفكُ الظلامْ //).

سأنتقلُ إلى قصيدته الرائعة بعنوان: تأملات – صفحة 32 – 34) هذه القصيدة من العيار الثقيل ومن الصعب الممتنع وليس السهل الممتنع. ومن الناحية الشكلية والبناء الخارجي هذه القصيدة حديثة وقريبة جدا إلى نمط شعر التفعيلة أي أنها لا تلتزم وتتقيَّد بوزن واحد في كل جملة شعرية، ويوجد في كل جملة أكثر من تفعيلة بل عدة تفاعيل، وهنالك بعض الجمل على وزن واحد وعلى نفس التفعيلة... وأستطيع أن أقول: إنها مزيج بين شعر التفعيلة والشعر الحر من ناحية الشكل والبناء الخارجي.. ويلتزمُ الشاعر ببعض القوافي في كلِّ قفلة وبتوزيع جميل للقوافي مما يعطي الجملة الشعريَّة والقصيدة ككل جماليّة وتألقا خاصًّا. وهذه القصيدة على مستوى عال جدا من جميع النواحي: من ناحية البناء والسَّبك والألفاظ الجميلة الْمُمَوسقة والتكثيف في المعاني والصور الشعريَّة الجميلة والخلابة والمصطلحات والاستعارات البلاغية الحديثة. وتُعيدُ هذه القصيدة إلى أذهاننا روائع عمالقة الشعر والتجديد في مسيرة الشعر العربي الحديث، مثل: بدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتي ونازك الملائكة ... وغيرهم من رُوَّاد الحداثة والقصيدةُ فيها طابعُ وروح التفاؤل، والأمل والحب والجمال، والإتحاد مع الطبيعة والوجود في نشيد إنساني روحاني سماوي متناغم رائع... والشاعر يغني فيها: للحبِّ للجمال الأول للسلام المنشود. وفي هذه القصيدة تكتملُ كلُّ عناصر وأسس الإبداع

والجمال الحقيقي. وهي من القصائد النادرة في الأدب المحلي في هذا المستوى والعمق والتألق. ويقول فيها:

(أستنشقُ العطرَ في فرحِ الحياة//وتغمُرني السعادةُ في وَهَجِ النشيدْ،//
أناجي الليلَ أن يمحُوَ الأنَّاتْ// في سفري العنيد//في كلِّ اللحظاتْ //
أناجي القلبَ أن يجلبَ البسماتْ//في المشيِ وفي التجوالِ//عبرَ الفيافي والمروجِ//وفي زحمةِ الطرقاتْ//ناشدتُكَ ربِّي//أن تمنعَ الآهات//عن أطفالِ بلادي في كلِّ عيدْ//ناشدتُكَ//أن تعيدَ المجدَ والسرورْ//والبهجةَ والحُبورْ// لقلبٍ أضناهُ النَّوى//من صبٍّ لجوجْ //جئتُكِ بلادي// أناجي بحرَكِ والسُّهولْ//ليكونَ صيفُكِ القادمُ//من أجملِ الفصُولْ//جئتُ أنادي// أن يكون شتاؤُكِ غنيًّا بالمطر//وبياضِ الثلوج//جئتُكِ يا بلادي//شاعرًا مُمَنطقًا بالحرفِ والعزمِ الشَّديدْ//أدعُو للسِّلمِ//والفجرِ الجديدْ).

وإلى قصيدة أخرى من الديوان بعنوان: (أستجيرك يا إلهي – روحانيات 3 – صفحة 48 – 51) وفيها يستجيرُ الشاعرُ بالله جلَّ جلاله ويتوسَّلُ ويطلب منه أن يعفو ويرحم الفقراء. ويبرزُ فيها ويتجلى عنصرُ الإيمان. يقولُ:

(أستجيرُكَ يا إلهي//يا مالكَ يومَ الدِّينْ//أستجيرُكَ أن تعطفَ على الفقراءِ//يا صاحبَ الحقِّ الْمُبينْ//أنتَ الإلهُ الأكرَمُ//باعِثُ الأرزاقِ في

كلِّ ناحيةٍ وَحين//أستجيرُكَ يا أرحمَ الرَّاحمين).

وللشاعر الكثير من القصائد في دواوينه (روحانيات من الجزء الأول إلى الجزء السادس) يذكرُ وَيُعَدِّدُ فيها الكثيرَ من أسماء الله الحسنى، مثل: (الرحمن، الرحيم، الغفار، الباري، المصوّر، الوهاب، الخالق... إلخ).

وله الكثيرُ من القصائد الإبتهالية ومناجاة الله الخالق والدعاء والتوسل إليهِ ليُسَهِّلَ الأمورَ، ولكي يعمَّ الخيرُ والمحبةُ والسلامُ على الجميع، مثال على ذلك: (قصيدة: اللهم- روحانيات 3 – صفحة 56).

وأما قصيدتهُ "قوس قزح" – (روحانيات 3 – صفحة 51 – 53) فهي على مستوى عال جدا، ولا تقلُّ مستوى وروعة عن روائع عمالقة الشعر والإبداع والحداثة في العصر الحديث. وفيها الجانبُ الوطني والإنساني والأممي أيضا والطابع الرومانسي الحالم والشفاف. ويظهرُ ويتجلى فيها بوضوح مشاعرُ ولواعج الشاعر القدير كمال إبراهيم ومدى محبته لجميع الناس والبشر، وتطلعاته السامية نحو السلام ورقي الإنسان فكريًّا وأخلاقيًّا. ويقول فيها:

(تبًّا لمن دكَّ بالبارودِ//أوطانَ السَّلامْ//فغادرتْ أعشاشَهَا//أسرابُ اليمامْ//تبًّا لِمَنْ نشرَ الحقدَ//في بلدِ المسيحْ//ليَعُمَّ الحزنُ أوتارَ المسَا//وفي الفجرِ لم يعُدْ//ديكٌ يصيحْ//هذي بلادي//بُؤبُؤُ عيني//وفؤادي//غطّتْ روابيها//المآسي والمحَنْ//تيَبستْ كرومُها//فمات زهرُ اللوزِ//وجفَّ

الفنَنْ//يا إلهي//إليكَ دُعائي//ابعَثْ صوتَ بلادي//نسمة غيثٍ// مُكلَّلةً بقوسِ قُزحْ//وانشرِ السلمَ في وطني//ليسودَ الحبُّ والفرَحْ//عندها يسعدُ الصغارُ والكبارْ//وترجعُ البهجةُ للحاكورةِ والدارْ//ومع صياحِ الديكِ في الصَّباحْ//يتلألأ الطلُّ//يُغرّدُ البُلبلُ//وَتشفَى الجراحْ).

ولهُ قصائد في هذا الديوان وغيره يتحدثُ فيها عن براءة الأطفال – الملائكة الصغار التي تمشي على هذه الارض، مثال على ذلك: قصيدة (براءة الأطفال: صفحة 54 – روحانيات 3)، يقولُ فيها:

(براءَةُ الأطفالِ هديَّةُ اللهْ // للأهلِ والخلانِ كلٌّ برضاهْ
بسمةُ الطفلِ بالعينِ والشفاهْ // أجملُ ما في الكونِ وَسماهْ)

وله أيضا الكثير من القصائد التي عبارة عن أناشيد جميلة ورائعة للأطفال، وتصلحُ أن تكونَ في المناهج التدريسيَّة، وَتُدرَّسَ ضمن موضوع أدب الأطفال.

إن دواوينه روحانيات (من الجزء ا – 6) فيها الكثير من القصائد الحافلة والزاخرةِ بالحكم والمواعظ والأمثال، وفيها الكثير من العبارات والجمل من الكتب المقدسة وكما يذكرُ وَيُعدِّدُ الشاعر الكثير من أسماء الله الحسنى في دواوينه، مثل: الله، الرحمن، الرحيم، الغفور، القادر، الشافي إلخ... كما ذكر سابقا.

وأما قصيدتهِ (أطلب الحكمة منك يا إلهي: – روحانيَّات 4 – صفحة

9) فتذكرنا بمزامير الملك داود ومناجاته لله وتقربه للخالق في أوقاتهِ العصيبة، وهي أناشيد سماوية روحيَّة. والأستاذ كمال إبراهيم يعيدُ إلى أذهاننا ووجداننا جمال وروعة تلك المزامير وجمالها وسحرها وقيمتها الروحيّة، وهي غذاء وبلسم ودواء للروح والوجدان والضمير في كل الأوقات في السراء والضرَّاء. يقول شاعرنا في هذه القصيدة:

(أطلبُ منكَ الحكمةَ يا إلهي//يا مبدعَ النور والمجرَّات//يا بارئَ البسمة في الشفاهِ//يا خالَ الأرضِ والسمواتْ//ألجأ إليكَ في ليلي ونهاري// في سهري وحروفِ أشعاري//يا باعِثَ الغيثِ والبرقْ//يا بارِئَ الكونِ والخلقْ//الخ...

عندما نقرأ هذه القصيدة الروحانية للشاعر القدير الأستاذ كمال إبراهيم نتذكر مباشرةً بعض المزامير التي نظمها الملك داود بوحي وإيحاء إلهي في أوقاتِ الضيق وعندما كان مطاردا وهاربا من الملك شاول وكانت حياته مهدَّدة بالخطر.

ويقولُ في قصيدته بعنوان: (أكتب عن حبِّ الله – روحانيَّات 4 – صفحة 3):

(أكتبُ عن حُبِّي لله العزيز الواحد الجبار//هو من خلقَ الإنسانَ والسمواتِ والبحارْ).

يذكرُ في القصيدةِ عظمة الخالق وقدرته العظيمة في إبداعه وخلقه

للكون والوجود. ويذكرُ رحمته ومحبته للعباد وأن الشاعر يمشي على الصراط المستقيم ويُكرّسُ حياته للخير والمحبةِ والتقوى وحسب مشيئة الرب جلَّ جلالهُ. ونجدُ الكثيرَ من قصائد الأستاذ كمال إبراهيم في دواوينه (روحانيّات- من الجزء 1 — 6) مترعةً بالحكمةِ والمعاني الفلسفيةِ الْمُشعَّةِ بالإيمان ولكن لا توجدُ عنده المعاني والفلسفةُ الغامضة والمعقدة فمعانيه وآراؤُهُ مفهومة ومبسطة، وفلسفتهُ في الحياة شفافة ووادعة يشوبُها نفحاتُ الإيمان. وقصائدهُ الروحانيَّة الجميلة والشفافة نجدها مُشعَّةً بالنفحاتِ والشطحات الصوفيَّة، وهو يقفُ ويلتقي مع شعراءِ التّصوُّفِ الجهابذة والمبدعين الكبار وفي نفس المنحى والمنطلق والتوجُّه... ولكن كلماته ومعانيه وصوره الشعريَّة سلسة ومرنة وواضحة ومنسابة بهدوء ومفهومة للجميع ويفهمها ويستوعبُها حتى الإنسانُ البسيط. ولا يوجدُ فيها غلوٌّ وتعقيدٌ وغموضٌ وإيحاءاتٌ ورموز مبهمة وتوظيفات دلاليَّة تحتاجُ لمحللين ونقاد وإلى مفسرين لكي يحللوا ويفسِّروا شيفراتها وطلاسمها ومعانيها وأبعادها المبطنة.

وقصائدُ كمال إبراهيم في دواوينه الروحانيَّات مفادها وفحواها محبّة الخالق والعيش في ظلِّ القداسة والإيمان والْمَحبَّة الطهارة والنقاء وبرعاية الخالق وهو مشابهٌ وقريبٌ من الشعراء الصوفيّين في الأهدافِ، ولكن يختلف عنهم في أدواتِ التعبير والأسلوب الكتابي نوعا ما. ومن

الشعراء الصوفيين للكبار الذين اشتهروا في قصائدِهم الروحانيّة ومناجاة الخالق والتقرب إليه: ابن الفارض، محيي الدين بن عربي، رابعة العدويَّة، السهرودي وعفيف الدين التلمساني وغيرهم.

وكمال إبراهيم في قصائدهِ الروحانيَّةِ المليئةِ بالحكم والمواعظ يذكرنا بالشاعر الكبير الإمام الشافعي وبالشاعر ابن الوردي وخاصّة في لاميته المشهورة (لامية ابن الوردي) ومطلعها:

(اعتزلْ ذكرى الأغاني والغزلْ = وَقُلِ الفصلَ وَجانبْ مَنْ هَزَلْ).

والإمام الشافعي معروفٌ للجميع بإيمانهِ وتقواه ومكانتهِ ومنزلته الدينيّة والاجتماعيّة ودعوتهِ للمحبَّة والخير والفضيلة والتآخي والسلام ولهُ ديوان شعر حافلٌ بالقيم والْمُثلِ والمبادئ والحكم والدعوة إلى الخير والفضيلة والصلاح والتحلي بالأخلاق الحميدة والتّمسُّك بالإيمان. وأما الشاعر إبن الوردي فهو إنسانٌ فاضلٌ وشريفٌ وتقيٌّ وينعكسُ هذا في شعرهِ الذي يدعو إلى عمل الخير وإلى المحبة والتحلي بالقيم والمثل والمبادئ والأخلاق الحميدة. وأيضا شاعرنا القدير والمبدع الأستاذ الشيخ كمال إبراهيم فدواوينه الروحانيَّات من (1-6) تتمحورُ وتسيرُ في نفس الاتجاه وعلى نفس الخط والمسار، وَمفادُها للخير والمحبة والإيمان والتقوى والتمسك بالمبادئ والقيم والأخلاق الحميدة والْمُثل السامية.

ولهُ قصيدتهِ بعنوان: (نحن من نرفضُ العُنف – روحانيَّات 4 – صفحة

22 – 26) يتحدثُ فيها عن العنف والإجرام الُمتفشّي والْمُنتشر في الوسط العربي وبشكل كبير ومذهل، وهو بدوره يرفضُ ويشجبُ كل ظواهر العنف والشر في مجتمعنا العربي، يقول فيها:

(نحنُ من نرفضُ العنفَ والانتقام//ونرفضُ حوادثَ القتلِ والإجرامْ
ليتَ العالمَ يسعى للطمأنينةِ والانتظامْ//كي نحمدَ ربَّنا ذا الجلالِ والإكرامْ//هوَ الخالِقُ بارئُ الكونِ والغيثِ والغمامْ//هُوَ من يدعُو للسلمِ في عالمٍ سادَهُ الظلامْ//ليتَ العِداءَ ينتهي وأن يهتدي كافةُ الحكامْ//هذا ما يبتغيهِ اللهُ باعِثُ الدينِ والرُّسُلِ الكرامْ).

وهذا دأبُ ومنطلقُ شاعرنا كمال إبراهيم ورسالته، فهو رسول للسلام وداعية للمحبة والوئام في كل مكان، ويتجلّى هذا من خلالِ كتاباتهِ وأشعاره الرائدة والخالدة.

وفي قصيدتهِ بعنوان: (ألا تدري – روحانيات 4 – صفحة 47) يتحدثُ مع الإنسان الراقي صاحب الضمير الحي والمتسربل بالمحبَّة والمبادئ والقيم الإنسانية في كلِّ مكان، ويُظهرُ له الخطرَ والشرَّ والبلاء الرهيب الذي سيحلُّ بالإنسانيَّة بالبشريَّة من خلال الحروب والقتل والدمار في الكثير من بقاع الأرض فيقول:

(ألا تدري ايها الإنسان إن الإنسان يسيرُ نحو الهاويةْ
حربٌ وقتلٌ ومجاعةٌ في غزة هاشم وفي أوكرانيةْ

هذا ما يشهدُهُ التاريخُ الي باتَ عدوًّا ضدَّ البشريَّة
حكوماتُ هذا العصرِ كأنها تريدُ حربًا ثالثة عالميَّة
لا تأبَهُ ولا تفعلُ شيئًا ضدَّ الجُرمِ وويلاتِ الإنسانيّة
العالمُ أضحَى لا يعرفُ غير البارودِ والقنبلةِ النوويَّة
يا للويلِ من حروبٍ وزلازلَ نشهدُهَا في دولٍ عربيَّة
هذا من عضبِ الرَّبِّ لما نراهُ من حكوماتٍ عنجهيَّة
في افريقيا وآسيا فيها الخنوعُ والنفاقُ للدولِ الغربيَّة
تبًّا لسياسةِ هذا العصرِ الذين يُؤيّدُونَ حروبًا بلطجيَّة)

هذه القصيدة تُجسّدُ بالضبط الواقعَ الاجتماعي والسياسي والأمني والعسكري الذي نعيشهُ ونحياهُ الآن في الشرق وفي منطقتنا بالذات وفي جميع بقاع العالم.. والقصيدةُ هي لسانُ حالِ كلِّ إنسان مؤمن ونظيف وخيِّر ومُحبٍّ للسلام يُصلّي ويتمنَّى أن تتوقفَ الحروبُ في كل مكان وينعم الجميع بالهدوء والاستقرار والأمن والسلام لأنه بالسلام العادل والشامل يكون الازدهار والانتعاشُ والرقي في كل شيء وفي جميع الجوانب والنواحي الحياتيَّة: العلمية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية وأما الحرب فهي أداةُ الشيطان، والحرب هي الدمار والبلاء على الجميع.

وفي وقصيدة: يُعزُّني أن أناجي (ديوانه روحانيات 5 – صفحة 15 –16) يذكر مناجاته لله بأشعار روحانيّة، وفيها الرجاءُ والعزاء لكلِّ مؤمن ينحني

أمام الرب أن يستجيب له الرب... وأيضا للكثير من المؤمنين الصادقين المبتهلين ومن صلوا من أجل أن يمنع العنف ويتوقف القتل والحرب والدمار، فيقول فيها:

(يعزيني ان اناجي الربَّ بأشعار روحانيَّة
وأرجو عطفهُ ليمنعَ العُنفَ في البريَّة)

وأما قصيدتهِ التي بعنوان (في عيد الأضحى (روحانيَّات 5 –صفحة 23) فيظهرُ فيها جوَّ البهجة والسرور في هذا العيد. والقصيدةُ كُتبت باللهجة العاميّة المحكيَّة وبتلقائيَّةٍ وسلاسة وعفوية. وهي كالكثير من قصائد كمال إبراهيم الغنائية المَموسقة والرنَّانه ذات الإيقاع الراقص والسريع تصلح أن تكون أنشودة ملحنة ومغناة للأطفال، وأن تُدرجَ ضمن قصائد وأدب الاطفال المحلي الإبداعي وأن تدرس للأطفال في المدارس للمرحلة الابتدائية. ويقول فيها:

(إجا العيد يفرّحنا // يزيل الهم بديرتنا//مَرحَا بقدوم الزوَّارْ//نعمّ الفرحَة بحارِتنا//أهلا بالعيدِ الغالي//في رجوعك تحلى الليالي//محلا لمَّة هالغوالي//وكلّ الأهل ببلدِتنا//با أضحَى يا أكبَرعيدْ//بقدومك هالفرحة تزيدْ//يلتمُّوا الأهل من جديد//وتكبَر عِنَّا فرحتنا//.. إلخ.

وهو يتميَّزُ ويتفرَّدُ بشكلٍ خاص في الآونة الأخيرة (كما ذُكرَ أعلاه) في كتابة الشعر العامي والشعبي والغنائي والشعر الحديث – السهل

الممتنع وفي كتابة الأغاني، وخاصة القصائد الروحانيّة التي يناجي فيها الخالق جلت قدرته ويدعو فيها إلى الإيمان والمحبَّة والسير والسلوك حسب مشيئة الله والإرادة الربانيَّة.. ويتناولُ في هذه القصيدة موضوع السلام والمحبة وقصيدتهُ يشوبُها ويسودها الطابعُ الأممي وليس فقط المحلي والإقليمي ولهذا نال الأستاذ كمال إبراهيم شهرة وانتشارا واسعا: محليا وعربيًّا وعالميًّا.

ويذكرنا هنا بالشاعر للغنائي المصري العربي الكبير والذي عُرِفَ بلقب شاعر الشباب "أحمد رامي" والذي غنَّتْ له كوكب الشرق أم كلثوم أكثر من 400 أغنية وقصيدة من أشعاره. وأحمد رامي في البداية كان يكتبُ فقط الشعرَ الكلاسيكي التقليدي الموزون والمقفى، وهو الذي ترجم رباعيات الخيام من الفارسية للعربية، وغنت أم كثوم بعض المقاطع من الرباعيات – تلحين الموسيقار الكبير رياض السمباطي. وعندما اتَّجَه أحمد رامي إلى كتابة القصائد العامية وتركَ الشعرَ الفصيح الموزون والمقفى انتقدهُ الكثيرون، وخاصة بع أن ترجم رباعيات الخيام، ولكنه حقق شهرة كبيرة ومذهلة عندما بدأت أم كلثوم تغني له ومن كلماته القصائد باللهجة العامية المحكيَّة، وحقق شهرة واسعة ومذهلة في جميع الوطن العربي أكثر بكثير مما كان عليه في البداية وهذا ما حدث بالضبط مع شاعرنا المبدع والمتألق الأستاذ كمال إبراهيم. فقصائده التي كتبها

باللهجةِ العامية المحكيَّة حققت له شهرة واسعة النطاق: محليًّا وعربيًّا وعالميّا وقد لحنوا له أكثر من 200 أغنية. وقام بتلحينها خيرةُ وكبارُ الموسيقيين والملحنين من مختلف الدول العربية من لبنان وسوريا ومصر وتونس والمغرب وغيرها. ومبارك له على هذا الإصدارات وعلى هذه الإنجازات الرائعة والشهرة والمكانة الكبيرة التي وصل إليها، ونتمنى له العمر الطويل والمديد والمزيد من الإصدارات الإبداعية الجديدة.

وأما قصيدته بعنوان: (وصايا – صفحة 57 – 59 – روحانيات 5) فهي قصيدة أممية شاملة يدعو فيها إلى المحبَّة والسلام بين جميع الشعوب والأديان وأن الإنسان هو أخ الإنسان وليس مهمًّا لأيِّ دين وقومية وعرق ينتمي والمهم أن يكون عنده سلام وأمل وخير ووداعة وأن يحبَّ كلَّ الناس ويسعى لأجل خير الجميع وكل شخص حتى لو كان من طائفةٍ وديانة ثانية ومن قومية أخرى فيجب أن نتمنى له الخيرَ والسعادة والنجاحَ والسلام وهذه القصيدة موزونة على بحر المتدارك الغنائي الجميل. يقول في القصيدة:

(كُن في هذا العالمِ أيًا كُنتْ//كُنْ عربيًّا أو عبريًّا//أمريكيًّا أو روسيًّا// كُنْ هنديًّا أو كنديًّا//واجنحْ دومًا نحوَ السلم//أيَّ نبيٍّ كانْ//لكن لا تتعَصَّبْ//لا تكرَهْ أيًّا من بينِ الأديانْ//اقرأ في هذا العالمِ كلَّ الافكارْ//

أدرُسْ ما أحببتْ//لكن لا تتقيَّدْ//لا تتصلّبْ كالأحجارْ//بل كُن دومًا كالأزهارْ//كُنْ بشريًّا // كُن اخويًّا//لا تقتل// لا تسرقْ//لا تكذبْ// لا تكرهْ//بل أحبِبْ//لا تبنِ بينكَ وبينَ الآخرِ أيَّ جدارْ//ازرعْ في نفسِكَ معنى الصِّدقْ//واذْعُ دومًا للإخلاصْ//علِّمْ ابنكَ معنى الرّفقْ// وانشُرْ دومًا حُبَّ الناسْ//كُنْ إنسانًا يحملُ عطفًا//ازرَعْ وردًا//اغرسْ حُبًّا واملأ قلبَكَ بالإحساسْ).

هذه القصيدة مستواها عالي جدا من جميع النواحي والجوانب: المعنى والموضوع، البناء وجودة السبك، والجزالة والصور الجميلة، وخاصة انها تتناول موضوعا هاما وإنسانيًّا، ولهذا ترقى هذه القصيدةُ في مستواها وَتَمَوُّجاتها وإشعاعاتها الإنسانيّة إلى مصافِ الشعر والأدب العالمي، إنها تعني وتَهُمُّ الإنسان الإنسان في كلِّ مكان وبقعةٍ على هذه الأرض وهذه القصيدة كُتبت وَوُجِّهَت للبشرية جمعاء وليست لجهة معينة أو لفئة ولجهة سياسية ولحيّز ضيّق. وهذا هو الشعر العالمي الذي سيخلدُ. وأما الشعر والأدب الذي يتحدثُ فقط عن وضع وحالة آنية محدودة فيشتهر وينتشرُ لفترة قصيرة وعلى نطاق وحيز محدود وبعدها يبدأ بالتقلص والتلاشي. وأريد ان أضيف: لقد وظفَ الشاعر في القصيدة بعض الجمل التي وردتْ في الوصايا العشرة للنبي موسى مثل: (لا تقتل)، (لا تسرق)، (لا تكذب).

وفي قصيدتهِ (في عيد الفطر روحانيَّات 4 – صفحة: 35 – 36) يتحدثُ عن بهجة وقداسة هذا العيد وشعور المسلمين بالسعادة والهناء والحبور بعد شهر من الصِّيام. ويقول في القصيدة:

(في عيد الفطر ترنَّمت قلوب المسلمين وازدَهَرتْ//
ليتنا في رمضان عشنا ايَّامًا من الحربِ خلتْ//
كب تعمَّ السعادةُ في العيدِ وفي أيامٍ مَضَتْ//) إلخ.

بالطبع لقد نظمَ هذه القصيدة في أيام الحرب حيث أنَّ معظمَ الناس لم تُعيِّد وتفرح وتبتهج بالعيد كما يجب. ويتطرق الشاعر في القصيدة إلى موضوع السلام والذي من خلالهِ تتحقق السعادةُ والعيشُ الرَّغد والهناء والاستقرار، ويكون لكل عيد في ظلِّ السلام بهجته وجماليّته ورونقه، وترتسمُ الفرحةُ على وجوه الجميع.

وأما قصيدة (يا الله – صفحة 39 – ديوان روحانيات) فهي عبارة عن مناجاة حارَّة للخالق جلت قدرتُهُ. ويطلب شاعرنا من الله أن يشفي كل مريض ومكلوم، وأن يعمَّ السلامُ والاستقرار والفرحُ والأمنُ على الجميع يقول الشاعر في القصيدة:

(يا الله يا باعثَ كلِّ الأنبياء//يا حارسَ التوحيدَ والأتقياءْ//أنتَ الوكيلُ مُعزِّزُ الشرفاءْ//نرجوك أن تؤمن لنا الدواءْ//وأن تشفي المريض من الداءْ//)..إلخ.

وفي قصيدته حروفي مُوَجَّهة – من ديوانه (روحانيَّات صفحة 11 – 12). يتحدثُ فيها عن موضوع السلام أيضا وأهميته، ويذكر ويُعدِّدُ ويلات وأهوال وكوارث الحرب والمآسي التي سيُعاني منها البشر والناس يقول الشاعر:

(حروفي مُوَّجة لمناجاة الخالق البرِّ الرحمن //
راجيًا منهُ ان يعطفَ بالسلامِ في هذا الزَّمانْ //
زماننا المنكوبِ بالحربِ والعُنفِ في كلَّ أوانْ //
رحمةُ الله على القتلى // الذين يسقطون في الميدانْ//
والأطفالِ والشُّيوخِ // مِمَّنْ يُقتلون بالذلِّ والهوانْ// الخ.

وأما قصيدته بعنوان: (أخطاء الزمان – صفحة 13 من ديوان روحانيَّات 6) فيشوبُها طابع التهكم الساخر. ويتحدثُ عن الإصطبل (بيت الحيوانات الذي خصص للحيوانات كالدواب)، فيتمنَّى أن يكون الاصطبلُ في هذا الزمان الرديء ليس للحيوان بل أن يُخصَّصَ للمجرم والقاتل ولعدو الإنسانيَّة والطفولة والبراءة والبشريّة جمعاء.

يقول الشاعر:

(الإصطبل بيتُ الحيوانْ//ليتهُ في هذا الزّمانْ//مع ما نراهُ في كلِّ مكانْ//من عُنفٍ وقتلٍ وَعُدوانْ//ليتهُ خصِّصَ لعدَوِّ الإنسانْ).

ويقول: (في هذا العصرِ// القاتلُ يمرحُ كالشيطانْ//والظالمُ يعتدي

قهرًا وَبُهتانْ//يقصفُ بالمدفعِ والطيرانْ//أطفال وشيوخًا وَشُبَّانْ//ليتَ الْمُخطئَ في هذا الزمانْ//يقبعُ في السجنِ مع السَّجَّانْ//والقاتلُ يُدْحَشُ في بيتش الظربانْ//عندها نعيشُ، الأهلُ وسائرُ الجيران//بهدوءٍ وَحُبٍّ وأمنٍ وسلمٍ وأمانْ).

(الاسطبلُ خُصّصَ للحيوان فقط ..ولكن شاعرنا يتمنى ويطالبُ في هذا الزمن الأعوج والغريب أن يُخَصَّصَ الاصطبل للأشرار والمجرمين والقتلة والخارجين عن القانون كما ذُكرَ أعلاه).

يتمنَّى الشاعرُ أن تكون هنالك عدالة إنسانيَّة على هذه الأرض وقانون دولي عادل يحمي الأبرياء والغلابى وللمساكين والمستضعفين والشعوب المقموعة والمضطهدة والمغلوبة على أمرها من المعتدين والظالمين والبغاة، وأنه يجب على المعتدي والقاتل والمذنب والمنفذ الجرائم البشعة في حق الأبرياء والناس العزل في كل مكان أن يوضع في السجن وينال عقابه العادل بل أن يقبع في الإصطبل ومع حيوان الظربان بالذات وليس مع الحيوانات الأليفة كالحمير والبغال والخيل التي تخدم وتفيد الناس والبشر.

يقول الشاعر: (والقاتل يُدحشُ في بيت الظربان) والظربان حيوان يفرز رائحة كريهة جدا وفتّاكة وجميع الحيوانات تهرب من رائحته المنتنة، وحتى الحيوانات المفترسة كالأسود والنمور التي تكون مقدمةً على افتراسه تولي الأدبار من رائحته القاتلة واستعملَ الشاعر كلمة (يُدحشُ) وهي

كلمة عامية وجاء استعمالها هنا في مكانها الصحيح والْمُعَبِّر، وهي أحلى وأبلغ وأدق تعبيرا من كلمة يُوضع أو يُدخل.. والقصيدةُ جميلة جدا بأسلوبها وطابعها الساخر والتهكمي وبنكهتها وفحواها وأهدافها الإنسانيّة وابعادها الاجتماعيَّة والسياسيّة وهذا الأسلوب واللون يفتقرُ واللونُ يفتقر إليه معظمُ الشعر والأدب العربي الحديث، وخاصة الشعر والأدب المحلي (ومن الذين برزوا واشهروا في اللون الأدب التهكمي الساخر الكاتب والناقد والروائي الكبير الأستاذ نبيل عودة من مدينة الناصرة، وخاصة في روايته المستحيل) وقد كتبتُ أنا عنها سابقا دراسة نقدية تحليلية موسعة. ومن الشعراء المحليين الذين كتبوا الشعر التهكمي الساخر الشاعر الكبير المرحوم راشد حسين.. وأنا أيضا (حاتم جوعيه) ولي الكثير من القصائد الهجائيَّة التهكميَّة الساخرة.

وفي قصيدته (مذ خلقت – صفحة 43 – من ديوان روحانيات 6) يتحدثُ عن إيمانه العميق والصادق بالله جلَّ جلالهُ، وأن الله قد خلقهُ مؤمنا واختاره ان يكون دائما سالكا في طريق النور والإيمان والتقوى وأن الله هو الذي يُلهمُ الإنسان ويفتح له البصيرة ليهتدي إلى الصواب والنور والإيمان. فيقول:

(منذ خُلقتُ أتاني وحيٌ بوجود الخالق الوهَّابْ
إنَّهُ العظيمُ العليُّ الحقُّ للمصوِّرُ الغفار التوَّابْ

واجب أن أذكي إبداعات الله من شمس وسحابْ

يُعدِّدُ الشاعر هنا البعض من أسماء الله الحُسنى.

الخاتمة:

إنَّ الشاعرَ والكاتبَ والناقدَ والإعلامي القدير والمتألّق الأستاذ الشيخ كمال إبراهيم يُعَدُّ من الشعراء والأدباء المبدعين الأوائل في البلاد. حقّق شهرة وانتشارا واسعا ومُذهلا محليًّا وعربيًّا وعالميًّا. كتب بدورِهِ، الشعرَ على جميع الأنماط والألوان: الكلاسيكي التقليدي والحديث المتحرر من الوزن وشعر التفعيلة.. وله أسلوبٌ وطابع مُمَيَّز في جميع كتاباته الشعريَّة ولا أبالغ إذا قلتُ: إنهُ صاحب مدرسة جديدة وحديثة في الشعر العربي. ويستحقُّ شعرهُ أن يتناوله ويهتمَّ به كبار الأدباء والنقاد وأن يُترجم إلى معظم لغات العالم وقد كتبَ عن دواوينه الصادرة العديدُ من النقاد محليًّا وخارج البلاد ولكن تحتاجُ دواوينه وإبداعاته إلى وقفات طويلة وإلى دراسات أخرى تحليليَّة وموضوعيَّة وعميقة ومطولة وشاملة أكثر.

مصادر:

1. – دواوين روحانيَّات (من الجزء الأول إلى جزء 6) – للشاعر كمال براهيم – إصدار: دار الحديث – عسفيا.
2. ديوان أحمد رامي – المجموعة الكاملة – دار العودة بيروت.
3. ديوان بيرم التونسي – عدة طبعات.
4. ديوان بدر شاكر السياب – المجموعة الكاملة – دار العودة بيروت.
5. ديوان عبد الوهاب البياتي – إصدار العودة بيروت – لبنان.
6. ديوان نازك الملائكة – إصدار: دار العودة – بيروت.
7. ديوان ابن الوردي – إصدار: دار الآفاق العربية.
8. ديوان الإمام الشافعي– إصدار: مكتبة الكليات الأزهرية – القاهرة – مصر.
9. قصة المستحيل: الكاتب نبيل عودة – الناصرة.
10. راشد حسين – المجموعة الشعريّة الكاملة إصدار: مكتبة كل شيء حيفا.
11. الكتاب المقدس – العهد القديم – مزامير داود.
12. ديوان ابن الفارض – إصدار : دار صادر – بيروت – لبنان.
13. ديوان محيي الدين بن عربي – إصدار – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.
14.ديوان السهرودي – إصدار: – دار الكتب العلمية بيروت.

تاريخ النشر: 20.10.2024

مُقدّمة

بقلم الكاتب الأردني توفيق نـجم

حول ديوان "روحانيات 5"

نحنُ الآنَ أمامَ قصائدَ تُخاطِبُ الروحَ والوجدان، فلا عجبَ أن تكون هذه القصائِد، كأنها أدعيةٌ روحانيةٌ تناجي ربَّ العالمين، وهل أقربُ لله من المُناجاة؟ وهل الصَّلاةُ إلا الصِّلةَ المباشرة بين العبدِ والمعبود؟

وليسَ غريبًا من الشاعر كمال إبراهيم الشيخ المُرَهَفِ الحسِّ وعَميقِ الإيمان أن تأتي قصائدُهُ الروحانيةُ صادقةً سهلةَ اللفظِ. سهلةَ الْمَعاني، وكأنَّهُ يُوجِّهُها إلى كلِ مؤمنٍ بالله يناجي بها رَبَّهُ، بِحبٍ وإيمان. مَنْ يقرأ قصائدَ كمال إبراهيم الروحانية الجديدة، يُدركُ بساطةَ الألفاظِ والْمَعاني، وسلاسَةَ الأفكار، فيها الرجاءُ والابتِهالُ للهِ، أن يرحمَ عبادَه وَيَغفرَ لهُمْ، وَأنْ ينْزعَ مِنْ هذه الدنيا الحروبَ والدَّمارَ والخرابَ والقَتْلَ والتَّقْتيل، فلقد عافت البشَريةُ القتلَ والحروب، وأصبحت تتوقُ إلى السَّلامِ والعيشِ بأمنٍ وأمان. قصائد الشيخ كمال إبراهيم، جاءت مُعبِّرةً عن لسان كل مؤمنٍ بالله والإنسانية في جميع بقاعِ الأرض، فالإنسانُ يجب أن يمارسَ

إنسانيتَه بحبِّهِ للغير، وليس بقهرِهِ وظلْمِه للغير، أو اغتصابِ حقوقِ الغير!
قصائد الشيخ كمال إبراهيم، شكوى ومناجاةٌ وأمنياتٌ من اللّهَ لِلّهَ، أن يطَهِّر الإنسانَ من الطمعِ والكُرهِ والحِقْدِ، وأن يعيشَ في هذه الحياة بحبٍ واحترامٍ يبنون الحضارات بالتعاون والحوار، فالله سبحانه هو رب الجميع وإليه المرجع وهو المحاسب، فشكرا جزيلا للشاعر الشيخ كمال إبراهيم على هذا الديوان الروحاني، الذي سيكونُ مُعينا لكلِّ مؤمنٍ وُمُوحِّدٍ، ليقتربَ مِنَ اللهِ بهذه القصائد الأدعيةِ التي تريح القلبَ والوجدانَ والروح!

توفيق نجم – عمان الأردن

اصدار الديوان : حزيران – يونيو 2024

رحلة كمال إبراهيم مع الشعر

بقلم الدكتور: نبيه القاسم

أضع بين يديكَ مجموعة قصائدي هذه التي نظمتها على امتداد سني حياتي هكذا يتوجّه كمال إبراهيم في تقديمه مجموعته الشعرية للقارئ، ويعود ليؤكد ثانية أنّ مجموعته الشعرية هذه (حديث الجرمق) هي نتاج مسيرة حياة طويلة وهذه الحياة امتدّت على ثلاثة عقود ونصف وكانت غنيّة بالتجربة والعلم والسفر والعمل والعطاء، ولكنها كانت شحيحة بعدد القصائد التي كتبها كمال، وهذا يعني الكثير، فكمال لم يُلاحق الكلمة والصورة والمعنى، ولم يدع الشعر إذا لم يأته حقّا.

والشعر عنده ليس ترَفا ولهوا وعَرضَ عضَلات، وإنّما هو إعلان مَوقف وتَعبير عن خَلجة فؤاد، وآهة لم يستطع كبتها أكثر.

لا أبغي في كلمتي هذه الوقوف على الجوانب الفنيّة والإبداعية وكتابة دراسة شاملة وإنّما أردتُ الإشارة إلى بعض المواقف الفكرية والثوابت المبدئية التي عرفتها في كمال في السنوات التي خلت ولا تزال تميّزه.

كانت العقود الثلاثة والنصف التي خاض فيها كمال تجربة الحياة بكل جوانبها ومسارِبها هي الأكثر إثارة وجذبا وانتكاسا للعربي على

طول الوطن العربي وعَرضه، فقد تغيّرت المفاهيم وتكسّرت الأحلام واضمحلت الآمال ولم يعد العالم هو العالم والوطن هو الوطن والأهل هم الأهل. لقد وهنَت العلاقات، وبهَتَت الانتماءات، وما افتقده كمال في الواقع الملموس استرجَعه وحاول تثبيته في واقع الخيال ولو في البعيد:

(سافرتُ بعيدا//يا وطني//أبحثُ عن لوحة شعر رمزيّة//ضاعتْ//مُذ عصَفت في صدركَ//يا وطني//الرّيحُ الهمجيّة).

لكنه يُعلنها صريحة أنّه لم يجد الرّاحة والسعادة والطمأنينة إلاّ في وطنه:

(طربتُ كثيرا//ورقصتُ كثيرا//في أبراجٍ عاجيّة//طربتُ ورقصتُ كثيرا لكنّي//من دون سمائك يا وطني//أشهدُ أنْ لا معنى للحريّة)

ويسأل عن الذنب الذي ارتكبه حتى يعاني في وطنه ويشقى:

(ماذا جنيتُ//كي أرى الآهات//في بلد المسيحْ؟!).

فهو يحب بلدته المغار ويكتب لها:

(كيف لي أنْ أنساكِ//يا بدعة الريف//يا طيف أشعاري//كيف لي أنْ أنساكِ؟).

ويؤكد على ما يميّز بلدته:

(مغارُ يا معشر الإيمان والبرّ والتقوى//فيك الديانات والأقوام توحدّت// أحمد وعيسى وسلمان تكاتفوا//على التسامح والإخاء والودّ//ثلاثة أركان، فيها الشهامة احتمتْ//مغارُ يا بلد الجود والطهارة والهدى//

دُمتِ لنا ذخرا//وبأهدابك سائر المعمورة اقتدتْ).

وكما المغار أحبّ كمال القدس وتغنّى بها ولها، وآلمه أنها أسيرة الاحتلال ويأمل بأن يأتي المنقذ ليخلصها من أسره، فكل مَن فيها يتوق لمجيء المخلّص المنقذ. لكن هذا لا يحرّره من إحساسه بالذنب أنه هو لا يعمل شيئا لتحريرَها من يد غاصبها:

(يا عاري//يا شرفي//يا دمي المهدورْ//يا قدسُ//شاهديني أثورْ)

ويكون على يقين أنّ ما يحلم به لا بدّ وسيتحقق:

حتما نسور الحق ثائرة
جهّز نفسَك يا صاح
حتما صقور الغد قادمة
طمْئن نفسَك يا صاح

ويرى في تحقيق حلمه وانبعاث نسور وصقور الغد الثائرة انبعاثا للوطن الجريح وفكّ قيود أسره ودَحره لغاصبيه:

وطني
يا حلما يتحّقق
يصرخ في وجه الأعداءْ
وطني
يا قمرا يتألق

في أفق الحرية
في كلّ سماءْ)

ويعلن أن الدرس الذي علمه إياه الوطن لن ينساه:
(علمني حبّك يا وطني
أن أكتب كلّ الأوقات
حبّك علمني أن أرسم أجمل لوحة
أن أكتب أحلى الكلماتْ).
كمال إبراهيم لا يحزنه ما يحدث لوطنه وشعبه فقط، وإنما هو حزين لما يلقاه المظلومون المقهورون في كل مكان:
(عبدُكَ يركع ويُصلي
كي تبعثَ سلما
كي تُنقذ طفلا في الشيشان
عبدك يركع ويصلي
كي تُسعد أمّا في لبنان
أنشر يا ربي حُبّا
في كشمير وفي السودان).
ويطلب الرحمة من الرب لكل الشعوب المنهوكة، وخاصة لشعبه

الفلسطيني:

(ارحم يا ربّي ارحم
شعبا ذاق القهرَ وذاق المرّ
في القرن العشرين
ارحمْ يا ربّي ارحم
كلّ شعوب الأرض
ولا تنسَ شعبَ فلسطينْ)

وحزن الفلسطيني هو حزن الشاعر:

(ماذا أفعل والدمع الساقط من عيني
لا ينشف
الحزن عميق جدّا
والجرح النازف أعمق.

ويقول بأسى واضح:

صدّقني أنّي في وضع من هذا
لا أعرف غير الحزن
لكني أعرف أنّ الحزنَ سلاح
من صنع فلسطين).

كمال كره الحروب، خاصة تلك التي كان ضحيتها شعبه العربي

والفلسطيني على وجه التخصيص، فهو يعلن موقفه الواضح من الحرب الأخيرة التي حدثت بين إسرائيل وحزب الله ويؤكد رفضه لهذه الحرب:

هذي الحرب الملعونة
هذي الحرب المزرية

ويوجّه اتهاماته لجنرالات الحرب وساساتها:

كفى يا جنرالات الحرب تباهيا
بانتصارات مشبوهة!
الحكمة المجهولة اليوم يا عسكريون
أنْ تُدركوا أنّ الحربَ دمار

وكما أحبّ بلدَه ووطنَه وشعبه، أحبّ أمّه وبعث لها بأجمل تحيّاته عندما بَعُد عنها

ورأى فيها صورة مُصغّرة للوطن الذي أحبّ. كما لم يخفِ كمال تلك الكلمات

الرّقيقة الجميلة التي كان يهمسُها للمحبوبة التي عشقها:

أموت يا حبيبتي
كلّ صبح ومساء
لأجلك أنتِ
يا أغلى ما عندي

يا حلوتي السمراء
أموت كلّ صبح ومساءْ

قد تطول الرحلة مع كمال إبراهيم، ولكن حسبنا في هذه الجولة لنتعرّف على هذا
التميّز الذي يُعطي لكمال إبراهيم موقعَه ومكانته على ساحة أدبنا وثقافتنا العربية
المحلية.

* ملحق كل العرب 13/4/2007
كتاب هسهسة الكلمات دار الهدى- كفرقرع 2010. ص236-229

كلمة اعتزاز بشاعر مبدع

بقلم نبيل عودة

(نص مقدمة لديوان شعر "أنغام الحروف" للشاعر كمال إبراهيم)

تجربة الشاعر كمال إبراهيم تستحق دراسات عديدة، أولا لغزارة انتاجه، ولتنوع المواضيع الّتي يعالجها في قصائده. ولتنوع أساليبه الشعرية.

هذه التجربة الشعرية تمتد على مساحة خمسة وعشرين ديوانًا شعريًّا.

طبعا ليس المهم هو الكم، إنّما التنوع والقدرات التّعبيريّة والصّور الشّعريّة الّتي يتحفنا بها الشّاعر في هذه التّجربة الهامّة جدًّا في شعرنا المحليّ.

هذا العشق للشّعر أعادني لسنوات السّتينات من القرن الماضي مع بدء بروز وانتشار شعرنا المحليّ، وعمليًّا كان الشّعر هو الأبرز في كلّ أدبنا المحليّ ونحن داخل الحصار الثقافيّ الّذي فرض على الجماهير العربيّة بعد نكبة الشّعب الفلسطينيّ.

كان واضحًا أن موروثنا من تراثنا العربي، كان الشعر ليس أبرزه فقط، انما اللون الجوهري والوحيد تقريبا في تراثنا، وهو المميز للتراث العربي عامة، هو ما ترك أثره الواضح على انطلاقة الجنار الشعري بهذه الكثافة والقوة والابداع في ثقافتنا المحلية داخل إسرائيل، مما لفت انتباه العالم العربي بعد ان كشف المرحوم غسان كنفاني عن أبرز ما في شعرنا الوطني في وقته.

ما زلت أذكر مهرجانات الشعر، التي تحولت إلى مهرجانات وطنية يعمها آلاف الحضور، ما زلت أتذكر دور الشعر في المهرجات السياسية حيث كانت القصيدة أشبه بخطاب سياسي، وهو الشعر الذي عرف فيما بعد بأدب المقاومة. كان الاهتمام وقتها من نصيب أربعة شعراء، هم محمود درويش، سميح القاسم، سالم جبران وتوفيق زياد، رغم أن هناك عددًا آخر من الشعراء المبدعين. لا يقل شعرهم بمستواه الإبداعي عن الشعراء الأربعة.

كانت رؤيتي أن للوزن السياسي دورًا في تقييم تلك المرحلة المبكرة من تطور شعرنا. اليوم نظرتنا للأدب بدأت تتغير، واقعنا تغير أيضا، التواصل مع الثقافة العربية حطم حواجز العزل، فانطلقت ثقافتنا وعلى رأسها الجانر الشعري، لتسحر عالم الشعر العربي بقامات شعرية متألقة. نظرتي أيضا للأدب تجاوزت حماسة تلك الحقبة التي شكلت مضامين شعر المقاومة. اليوم نظرتنا أصبحت فكرية فلسفية وأدبيّة جمالية إبداعية، لم يعد الشعر المهرجاني المباشر يثير حماستنا، تلك مرحلة هامة، لكنها مرحلة سياسية وليست مرحلة أدبية بمضمونها الأساسي، رغم ان قيمتها الثقافية كانت هامة جدا أيضا.

واليوم حين أقرأ قصائد كمال إبراهيم وزملائه أرى أننا تجاوزنا مراحل متعددة وهامة في تطور شعرنا المحلي وانتقاله إلى مضامين فكرية وثقافية

وابداعية هامة للغاية، لم تحظَ حسب رأيي بالدراسة الكافية والضرورية، ولا شك لدي ان تجربة شاعرنا كمال إبراهيم هي من تلك التجارب البارزة وأكثرها تنوعًا شعريًّا وأسلوبيًّا.

لست الآن في باب كتابة مراجعة ثقافية او نقدية، انما ملاحظات حول حقيقة ان شعرنا اليوم انتقل الى مرحلة الوعي الثقافي والوعي الأسلوبي، اثارتها قراءتي لقصائد هذا الديوان قبل نشره.

أقول بكل وضوح ان كمال إبراهيم فاجأني بانه تجاوز مرحلة القصيدة التقليدية في روحها وصياغتها الى مرحلة القصيدة الإنسانية في تناوله لمختلف المواضيع. لا بد ان أسجل أيضا إني متفاجئ بشكل لم اتوقعه من حقيقة ان بني معروف باتوا يحتلون الصدارة في شعرنا المحلي، ليس بالكم فقط، انما بالتنوع والتجديد الأسلوبي فكرًا وصورًا، والقدرات اللغوية لتطويع اللغة العربية ومعرفة عناصر التوهّج الجمالي في لغتنا. وهو أمر يثلج الصدر مرتين، أولا من تمسكهم بلغتهم القومية وتبحرهم بفنونها اللغوية، وثانيا من قدراتهم التعبيرية عن قضايا مجتمعنا بكل امتداده، عبر الإبداع الشعري.

ما لاحظته لدى الشاعر كمال إبراهيم أنه يطور الصور الشعرية ويتألق بتطوير المعاني، ويصيغ تعابيره بسلاسة كأنها تتدفق مثل شلال جارف.

كمال إبراهيم شمل بتجربته مختلف ألوان الشعر، من الشعر الوطني إلى

الشعر الاجتماعي إلى القصيدة الغزلية إلى الرؤية الفلسفية للحياة، وأكثر ما لفت انتباهي أنه بات يشق طريقا جديدة نحو الشعر الغنائي، وهو شعر يفرض لغته الخاصة، وألوانه التي تشبه ألوان قوس القزح، وأهم ما يتطلبه هذا الشعر، معرفة موسقة الكلام، لأن الشعر الغنائي كما أفهمه موسيقاه في داخله. وما على الفنان الملحن إلا أن يخرج اللحن من بطن كلمات القصيدة، وقد استمعت لعدة قصائد ملحنة ومغناة من كلمات شاعرنا كمال إبراهيم وتلحين فنانين عرب من العالم العربي ومحليين، وفاجأني من تمكنه من هذا اللون الذي لم يجذب إلا عددًا قليلًا من شعراء العربية في بلادنا.

صحيح أن الأوزان العربية لها وقعها الموسيقي أيضا، لكن هناك أمر جوهري بين الأوزان الشعرية وبين القصائد الغنائية، فإلى جانب الوزن الشعري هناك اختيار الكلمات، وصياغة الجملة الشعرية، واتقان الصور الشعرية المناسبة للحن، ووضع أحاسيس الشاعر بقوالب فنية ولغوية. انها مدرسة شعرية قائمة بذاتها. وأرى أن كمال إبراهيم يطور تجربته في هذا المجال، وقد لاحظت أن الشعراء الغنائيين قلائل جدًّا في شعرنا وربما لا يتجاوز عددهم أصابع اليد الواحدة.

وقد رأيت أن أقدّم نموذجًا واحدًا للدّلالة على ما أعنيه من الشعر الغنائي، أغنية ''يا مُحَيِّرْنِي'' من تلحين الموسيقي السوري، بسام رسلان

وغناء المطربة السورية سمار. تقول كلماتها:

يا مْحَيّرِني في هَواكْ
ما بَتحَمَّلْ عذابي مَعاكْ
سْهِرت الليلْ أسْتناكْ
أناجِي طِيفَكْ ورِضَاكْ

طبعا لست بباب تناول الوانه الشعرية المتنوعة، وهي تشمل كل مجالات الشعر، آمل ان اعود الى ذلك بعد صدور الديوان، وخاصة لشعره الوطني والانساني.

وأنا أكتب هذه المقدمة علمت بمشاركته بأشرف معركة دفاع عن أرض الزابود مع أصحاب الأرض من بيت جن.

كمال إبراهيم يحمل هموم شعبه بأكمله، شاعرًا ومناضلًا ضد التنكر لحقوق شعبه، وهو يشد الخطى على طريق شاعرنا المرحوم ابن الطائفة الدرزية سميح القاسم!!

نبيل عودة

(كاتب، ناقد، باحث فلسفي وإعلامي فلسطيني من مدينة الناصرة.)

المقالة نشرت بتاريخ: 2020/10/25

مداخلة حول شعر كمال إبراهيم
في أمسية اشهار ديوان "رحيق وعسل"

بقلم: فهيم أبو ركن

الشاعر الناقد فهيم أبو ركن أوجز في مداخلة مطولة خصوصيات وميزات شعر كمال إبراهيم عبر مجموعاته الشعرية العديدة ومما قاله فهيم أبو ركن عن كمال إبراهيم إن شعره شعر واضح وقضية الوضوح والغموض في الشعر قضية قديمة قِدَمَ الشعر نفسه جذوره ضاربة في أعماق القدم حيث كانت السمة الغالبة على الأدب آنذاك الوضوح نظرا لأن التفكير العربي بعفويته يميل إلى الوضوح وينفر من الغموض. وقال عن كمال إبراهيم إنه يعبر عن شخصيته الواضحة ويترجمها إلى أفعال وأقوال وقصائد غزيرة فيقول في مقدمة ديوان "الفجر الأزرق": "في قصائد هذه المجموعة كما في المجموعتين السابقتين انتهجت الأسلوب نفسه الذي رسمته لي طريقا منذ البداية وهو الوضوح والابتعاد عن الغموض والإبهام".

وعن موتيف الحب في شعر كمال إبراهيم قال فهيم أبو ركن إن الحب في شعر أبي نزار هو الموتيف المركزي ومنه تتفرع موتيفات أخرى مرتبطة

ارتباطا وثيقا به، فالحب جزء لا يتجزأ في كل القصائد في جميع الدواوين. ويجيد الشاعر وصف الحب، فهو شاعر متيم ويتغزل بعفوية، فالأدب في جوهره تعبير جميل عن تجارب الإنسان ونجاح هذا الإبداع مرتبط بل مشروط بإيقاظ قبس من الشعور بالجمال والسعادة في النفوس.

شاعرنا يهتم بالأمور العادية ويجعل منها ركائز رئيسية لقصائده، لا يستعمل الرمزية ولكنه يحمل أشعاره دلالات واسعة.

وعن الموتيف الإنساني في شعر كمال إبراهيم قال فهيم أبو ركن: "إذا نظرنا إلى نصوص الشاعر كمال إبراهيم نجدها تكتسب قيمتها الكبيرة من معانيها الإنسانية النبيلة والسامية التي تجد من يؤيدها ويحبها. وقال: "هذا هو الشاعر كمال إبراهيم، وهذا هو شعره الرائع يشبهه بالمحبة الصادقة بالوضوح في المعاملة، بالبراءة والإيمان بالإنسان، يدعو إلى نبذ الظلم وإلى التسامح، إلى حب الوطن والحرية واحترام الإنسان.

8/6/2016

فنية الإيجاز في مجموعة "همس السُكون" للشاعر كمال ابراهيم

بقلم الدكتور: منير توما كفر ياسيف

يمتاز الشاعر كمال ابراهيم بغزارة انتاجه الشعري في السنوات الماضية وفي الآونة الأخيرة، فقد أصدر في شباط 2013 مجموعةً شعرية تحت عنوان "همس السكون" حيث قام مشكوراً بإهدائي نسخةً منها آملًا مني أن أبدي رأيا ادبيا نقديا في قصائد المجموعة ممّا دعاني الى تلبية رغبته الغالية، فقرأت القصائد الواردة في المجموعة ، ووجدت فيها عناصر الوجدان والعاطفة والتصوير الفني الواضح، علاوةً على النزعة الانسانية والرومانسية الغارقة في وصف الحب بأسلوب الغزل غير المبتذل، وبالتالي شكَّلتْ بعض قصائد المجموعة محورًا جاذبًا لمعظم القصائد الاخرى التي تتناول المعاني والأفكار والأوصاف الشبيهة لما ورد في القصائد المحورية التي ركزنا عليها باعتبارها المحصلة الشعرية للمجموعة لفظًا ومعنىً دون إهمال أيٍّ من القصائد لاسيما وأنَّ معظم قصائد المجموعة سهلة الألفاظ، رشيقة المعاني، انسيابية الأسلوب، واضحةُ الأفكار والمواضيع بعيدة عن التعقيد والوعورة مما يتيح للقارئ فرصة الانسجام والتناغم مع شكلها

ومضمونها، وبالتالي يشعر بالراحة الذهنية والنفسية عند قراءَة قصائد المجموعة لبعدها عن الغموض والإبهام على الإطلاق، فقراءتها فيها الكثير من مزايا الترويح عن النفس لما تتضمَّنه من بهجة مفاتن الجسد وتداعيات الروح من خلال الكلمات المفعمة بالأوصاف الحسِّية والطبيعية المباشرة.

يفتتح شاعرنا مجموعته بقصيدة "همس السّكون" التي اعطاها عنوانًا لمجموعته الشعرية هذه حيث أنه في هذه القصيدة يتغزل ببلده وعشقه لها معبّرًا عن وفائه لها وإخلاصه بروحه وجوارحه لوجودها:

بلدي أنت شرياني ودمي
فيكِ شَمَمْتُ الوَرد
وعَرفتُ ابتسامَةَ الأَمِّ الحَنونْ.
بلدي يا قلعةَ الأحْرارِ
يا وَمْضَةَ الشِّعْرِ الجَميلْ
يا شُعلَةَ الحَقِّ
والقَلَمِ الأصيلْ.
بلدي أنتِ نورُ التَّجَلي
في ظُلْمةِ الليلِ الطَّويلْ.
بلدي أفديكِ بروحي
يا مَنْ فيكِ

تَحَطَّمَت كلُّ أحزاني
وَحَقَّقْتُ فيكِ
حُلمِي الْمُسْتَحيلْ.

وتتجلى رغبة شاعرنا في أن يكون شاعرًا في هذه الحياة حيث يعبر عن ذلك في قصيدة "يروقني أن أكون شاعرًا"، ففيها يبين ميوله الشعرية للكتابة عن جمال الطبيعة بطيورها وزيتونها وعن مفاتن الحسان من النساء، وعن الحكمة وعمّا يعانيه البؤساء والفقراء من الأطفال مما يعكس النزعة الإنسانية الشفافة لدى شاعرنا تجاه الآخرين الذين يعانون ويكابدون مشاقَّ وصعوبات وضيقات ومآسي هذه الحياة. وحول كل هذه المعاني يقول:

يروقني أن أكون شاعرًا
أكتبُ ما أشاءْ
أكتبُ عنْ جمالِ الطبيعةِ
وعنْ خفايا الأشياءْ.
أكتبُ عنْ طيرٍ يحلّقُ عاليًا
أو عنْ زيتونةٍ وارفةِ الظلالْ.
أكتبُ عنْ ولهِ الشعراء
في وصفِ امرأةٍ حسناءْ

فيكونُ شعري متعةً للقارئِ الولهانْ.
أكتبُ عنْ مزايا الحُكماءْ
وحكايا البؤساءْ.
يؤلمني أن أرى طفلًا في العَراءْ
أو شيخًا في انزواءْ.

وتبدو في هذه المقاطع من القصيدة هيام شاعرنا بالحريّة التي تجعله خاليًا من القيود ليتمكن من الكتابة في مختلف الأغراض الشعرية لا سيما الإنسانية والرومانسية التي تعتمل في صدره وتختلج في نفسه التواقة الى الحريّة والانطلاق الفكري والحسّي والروحي.

ونلمس في قصيدة "شعلتي" استغراق شاعرنا في الحُب الدافئ الأثيري المتسامي والراقي في إيحاءاته ومضمونه وتداعياته، وها نحن نسمعه قائلاً:

أتوقُ إليكِ
في الصُّبْحِ وفي المساءْ
يا أجملَ امرأةٍ
خلقها الرَّبُّ
بينَ النساءْ.
أنتِ ملاكي
خُذيني بعيدًا

إلى أبعدِ الأرجاءْ
وَحَلِّقي بي عاليًا
كالطيرِ في السَّماءْ.

أمّا في قصيدة "لبّيكِ"، فإن كلمات شاعرنا تتحلى بالأناقة الشعورية الحسّية، وتمتاز بالرشاقة والإيجاز الظاهر في معظم قصائد المجموعة إن لم يكن كلها حيث أن هذه الرشاقة في عرض الأفكار والمعاني، والإيجاز في كتابة القصيدة يعتبر في الشعر الحديث من مزايا ومقومات القصيدة التي تساهم الى جانب عوامل أخرى في نجاح القصيدة والزيادة في رصيد الشاعر الأدبي. والسطور التالية من قصيدة " لبّيكِ " توحي بمعاني الحب العاطر من خلال غزلٍ رقيقٍ عذبٍ يعبق بأجواء الهيام والغرام الهادئ الرصين البعيد عن الصخب وثورة العواطف الملتهبة:

لبيك حبيبتي
أَنَا لَكِ حَيْثمَا تَشَائِينْ
فَهَلْ تَعْلَمِينْ؟
كَمْ أُحِبُّكِ
يَا زَهْرَة العُمْرِ
يَا لَوْعَةَ الْقَلْبِ الحَزِينْ.

جِئْتُكِ شَاعِرًا
أحْمِلُ شُعْلَةً
لَا تَسْتَكِينْ.
تَمَتَّعِي وابشِري
سأُهْدِيكِ بِطَاقَةَ حُبٍّ
مُكَلَّلَةً بِالفُلِّ واليَاسَمِينْ.

ويبلغ شاعرنا قمة الإيجاز في شعرة الغزلي هنا عند قصيدة "جرح" حيث يخاطب الحبيبة واصفًا معاناته في حبها راجيًا اياها بكلمات وعبارات مقتضبة أن تنصفه وتخفف من آلامه وعذاباته وجراحاته من تعلقه المتين بحبه لها وهو يقول في ذلك:

جُرْحِي عَميقٌ
لا أقوَى على العِتابْ
اشتَرَيْتِ فؤادي
دُون أنْ تدْفَعي
فاتورَة الحِسابْ.
سأُلْتُكِ باسمِ الحُبِّ
أنْ تُنْصِفي قليلًا
كيْ يَسْلَمَ القلْبُ

مِنْ جُرْحِهِ العَميقْ
وَمِنْ مَرارَةِ العَذابْ.

ويعود شاعرنا في قصيدة "شقاء الفقراء" الى التعبير عن نزعته الإنسانية الدافقة في وصفه لبؤس الفقراء والمساكين ومعاناتهم المعيشية الحياتية حيث يهدف الى إثارة المشاعر الإنسانية للقراء وتحفيز عواطفهم النبيلة بغية ايقاظ الرحمة والشفقة والإحسان في قلوبهم وفي ذلك يقول:

هؤلاء المساكين، الفقراء
يسهرونَ الليلَ الطويلْ
يتقلبون في الفراش
والنعاسُ يطير مِنْ جفونِهم
بطونُهُم فارِغة
يعتصرها الجوع
لكنهم يبقونَ على أملٍ
ربما في اليوم التالي
يجدونَ لُقمةً تسِدُّ رَمَقَهُم
ينهَضُونَ في الصَّباح
كما باتُوا في الليل

لا يجِدونَ إلا حَسْرَةَ العَذاب.

وفي قصيدة "انتفاضة الشعراء" يوجه شاعرنا نقدًا لاذعًا وهجومًا حادًا لساسة هذا العالم وقياداته لانغماسهم وتورطهم المتعمد في ممارسة العنف وشن الحروب حيث يحذرهم ويتوعدهم الشاعر هنا باستخدام الشعراء لسلاحهم الشعري بالثورة عليهم وعلى الأوضاع الناشئة بفعلهم من خلال تسخير الشعراء لأقلامهم لشن الهجوم عليهم، فلعل وعسى أن يرتدع هؤلاء الساسة والقادة عن مواصلة سياساتهم وممارساتهم المقيتة الهدامة تجاه شعوب الأرض. وها هو الشاعر يخاطب هؤلاء الساسة والقادة في نهاية قصيدته هذه قائلًا:

فَلْتَرْحَلوا أيُّها السُّفَهاءْ
قَبْلَ أنْ يَنتَفِضَ الشعَراءْ
قبْلَ أنْ يَشحَذوا أقلامَهُمْ
لِيَكْتُبوا عنكُم أقبَحَ العِباراتْ
وَيَشتُموا أمهاتكمْ
وأجدادَكمْ
فرُبَّما تفيقونَ يومًا منْ سُباتِكُمْ
وَتَهْتَدونَ الى الصَّوابْ.

ويؤكد شاعرنا مرة أخرى حبه لبلده "المغار" في قصيدة "المغار يا بلدي"

حيث يقدم لنا وصفًا حميميًا موجز الإطار لمحاسن بلده المغار على شت الصعد الإنسانية والجمالية الطبيعية مما يعكس مدى قوة الانتماء الشخصي لبلده وقريته المغار العامرة بأهلها الطيبين الكرام. وفي كل ذلك نسمع شاعرنا يقول بكل فخرٍ واعتزاز:

المغارُ يا بلدي
يا مَلقى الحَضارَةِ
يا مَجمَعَ الأديانْ.
المغارُ يا واحَةً
تروي كلَّ تائِهٍ
كلَّ عَطشانْ.
المغارُ يا بلدي
يا قلعةً مُشيَّدَة البنيانْ،
يا سَدًّا مَنيعًا
يَرْفُضُ الظُّلمَ والطُّغيانْ.

ونلمح في قصيدة "اقرأ" صورة شعرية يرسمها الشاعر في اطار موجز تعكس ايمانه العميق الثابت بالله وبالقيّم الإنسانية والفضائل التي نادت بها الأديان السماوية ودعت اليها لنشر الحق والخير والسلام وقد ورد هناك قول الشاعر:

ولا تنسَ
أنَّ الدِّينَ حِكمَةٌ
وأنَّ اللهَ أنْزَلَ توراةً وإنجيلًا وَقُرآنْ.
أكرَهِ الحَربَ والبُهْتانْ
كيْ تُبْعِدَ الشَّرَّ عَنِ الإنسانْ،
فلا الظُّلمُ باقٍ
وَلا الجَهْلُ وَلا السَّيِّدُ ولا السُّلطانْ.

ويكرر شاعرنا فكرة ايمانه بالله وبالفضائل الإنسانية والأديان السماوية في نهاية قصيدة "حبّ من أول نظرة" ولكن هذه المرة بفضل حبه لمعشوقته، ذلك الحب الذي جعله يؤمن بوحدانية الله وكل الأديان . فهو يقول:

حبُّكِ عاشِقَتِي،
أهْدانِي إيمانِي
في كُلِّ الأدْيانِ
وَتَوْحِيدِ الرَّبْ.

إن ما اورده الشاعر في قصيدتيْ "اقرأ" و"حب من أول نظرة" فيما أشرنا إليه سابقًا يذكرنا بشعراء الصّوفية وعلى رأسهم الشيخ الأكبر محّي

الدّين بن عربي في دعوته واعتقاده بوحدة الوجود، وإيمانه بكافة العقائد الدينية بمختلف الانتماءات ليشكل الحّب لديه إيمانه ودينه كما ورّد في الأبيات الشهيرة التالية لابن عربي في هذا السياق:

قد كُنتُ قبلَ اليومِ أكرهُ صاحبي
إذا لم يكن ديني إلى دينهِ دانِ
لقد صار قلبي قابلًا كلَّ صورةٍ
فمرعىً لغزلانِ، وديرٌ لرُهبانِ
وبيتٌ لأوثانٍ، وكعبةُ طائفٍ
وألواحُ توراةٍ ومصحفُ قرآنِ
أدينُ بدين الحُبِّ أنّى توجّهَتْ ركائِبُه
فالحُبُّ ديني وإيماني

وهكذا يتضح مما تقدم أن الشاعر كمال إبراهيم قد أحسن وأجاد في اعتماده الإيجاز في قصائد مجموعة "همس السْكون" كما عهدناه في مجموعاته الشعرية السابقة، كما لمسنا في هذه المجموعة الرشاقة في التعبير عن الأفكار، والرّقة في الأوصاف، واللينَ في العبارة، والوضوح في المعاني، بالإضافة إلى حفاظه على الجرس الموسيقي والإيقاع في عدد ملحوظ من قصائد المجموعة، وإن أغفل ذلك في عدد من القصائد الأخرى بحيث

يمكن تصنيف العديد من قصائد المجموعة ضمن قصيدة النثر.

ومما يقتضي التنويه والإشارة إليه أن بعض القصائد الغزلية وغيرها قد تشابهت إلى حد لافت من حيث المضمون، والصور والأوصاف والأفكار المطروقة، فجاءت ذات صبغة مألوفة عادية تقليدية يكاد ينقصها الطابع الفنيّ الإستعاريّ، فقد كان من المحبّذ والمرغوب فيه أن ينتهج شاعرنا أسلوب الإكثار من التنويع في المعاني والصور الفنيّة التي من شأنها أن تساهم أكثر في هزّ المشاعر وملامسة شغاف القلوب، واثقينَ أن شاعرنا ليس قاصرًا بل يتمتّع بكامل القدرة أن يبدع ويجيد في كتابة قصائد الحب والغزل الإشراقي الفريد في نوعيته وماهيته المشتمل على المجاز الموحي والغموض المعتدل دون افراطٍ ولا تفريط .

ومع ذلك، فإنه يجدر أن نشير إلى أن العديد من قصائد المجموعة تحفل بجماليات الألفاظ والمعاني والأوصاف الرقيقة العذبة في مجال الغزل والحب الرومانسي والتماهي الإنساني الثوري الذي كان دائمًا وما زال يداعب خيال الشعراء، ويدغدغ عواطفهم في حياتهم المتموجة الحافلة بالأحاسيس الفياضة والمشاعر المتوهجة .

ولا بدَّ لنا أخيرًا أن نشيد بالجهود الإبداعية للأستاذ الشاعر كمال

إبراهيم الذي سعى دائمًا إلى تثبيت أقدامه وتوطيد مكانته في عالم الشعر، فأثبت وجوده على الساحة الشعرية، ونجح نجاحًا ملحوظًا محسوسًا في هذا المجال حيث تشهد على ذلك إبداعاته الشعرية القريبة إلى قلوب القراء والمستمعين بكافة أغراضها وخصوصًا الغزلية منها.

فلشاعرنا الكريم الأستاذ كمال ابراهيم أجمل التهاني بصدور "همس السّكون"، مع أصدق وأطيب التمنيات بدوام التوفيق والمزيد من الإبداع والعطاء.

الديوان صدر في ابريل – نيسان– 2013

حالة حب في زمن الحرب

بقلم الدكتور جودت عيد

(قراءة في كتاب "قربان على مذبح الحب" للشاعر كمال إبراهيم)

من الصفحة الاولى حتى آخر الكتاب يأخذك الشاعر في حالة من حب ويكرّس للعشق والعشاق ذلك المذبح من خلال مقطوعات تتماهى ما بين العاطفة والتملك والهيام، وتشعر أنك تكتشف عاشقا جريئا يعبر ببركانية الكلمة وينحاز الى أنانيته من جهة والى شغفه المطلق بالآخر/ الأخرى من جهة ثانية. بالذات في زمن الاضطرابات والحروب بالذات في زمن من دم وانتقام من تهجير ومن ظلم لكنه الانسان... نحتاج الى الحب. نحتاج الى اكتشاف جديد داخلنا، الى اكتشاف مسارات الخير والحب الانساني المطلق كحالة ارتقاء كحالة ميتافيزيقية تجبلنا من جديد لعالم أكثر جمالا أكثر حبا اكثر سلاما...

يقول في صفحة 4: أريدُكِ رَغمَ بُعدِ المسافاتْ / بِكِ يطيبُ الليلُ وتنتهي الآهاتْ /أنتِ حُبّي وَمُرادِي وأنتِ الحياة / كمْ أتوقُ اليكِ مع تلألؤِ البَدْرِ والنجماتْ / كوني لي صَديقة أبحَثُ فيها عَنْ بقايا وَطَنٍ

في الشتاتْ...

في هذه البداية يلبسها المدن وكل الجهات ويريدها رغم بعد المسافات.

يذكر الشاعر العينين بشكل كبير/ لعينيّ معشوقته أهمية كبيرة وتشكلان بداية ونهاية وغرقا ومرسى صفحة 6 (سواد عينيك الساحرتين)، صفحة 8 بسحر عينيك تغنيت، صفحة 20 "تتباهى بغمزة الجفنين"، صفحة 36 سأترك بين عينيك قبلة غراء، صفحة 42 عيناك السوداوان وغيرها...

قصيدة تعترض هذا الشغف وتطل من صفحة 39 حين يقول وداعا لعام 2014 ويأخذنا الى مكان بعيد عن شوقه وشوكه ويقول: ص 39 وَداعًا لعامٍ ما مِثلهُ عامْ / عامِ الشؤمِ ليسَ ككلِّ الأعوامْ / فيهِ اندَحَرَ السِّلمُ وَسَالَ الدمُ ،/فيهِ طالَ القصْفُ غزة هاشِمَ ودمشقَ الشامْ / بئرَ السَّبعِ وعَسْقلانْ / وَداعًا لعامٍ وأهلا بعامْ / يكونُ فيه سَلامْ ، يَفرَحُ فيهِ أطفالٌ أيْتامْ ...

ويستأنف الوله والعشق ببعض ملامحه الاباحية احيانا وبحالاته الوصفية التي تثير الشاعر ص 41 في قصيدة أمنية عاشق – يذكرنا برواية احلام مستغانمي ولكن يتمرد على عنوانها الاسود يليق بك فيقول: قميصك الاحمر يليق بك / تغارُ منهُ الوردَةُ الحمراءْ / شِفاهُكِ الحُمْرُ أمنيةُ عاشِقٍ جَنَّ جنونُه مِنْ شِدَّةِ الإغراءْ / شَعْرُكِ الأسوَد حَالِكٌ كالليل يكسُو الرُّقبَةَ السَّمْراءْ.

يرفع معشوقته ككل عاشق في قصيدة أميرة الشرق ص 43 حماكِ اللهُ يا أميرةَ الشَّرْقِ / يا مُهْجَةَ الرُّوحِ
يا لوْعَةَ الشَّوْقِ / وَجْهُكِ نورُ الضُّحى / وفي الليلِ يَشِعُّ كالبرْقِ / بنظرَةٍ مِنكِ آمنتُ بالعُلا / برَبِّ السَّماءِ مِنْ فوقِي/ أنتِ مليكةٌ إذا مَرَّ موكِبُكِ سَجَدَتْ لَهُ النَّاسُ في الطُّرُقِ ... كما ويتوجه الشاعر الى المحبوبة/ الأنثى/ المرأة/ الأرض/ الحبيبة/ الوطن ويحاورها ويغازلها ويعاتبها ويستجديها ويحبها ويحبها ويحبها... وكم لدى الانسان من هذا الحب الذي يروح ويغيب في غياهب الحرب وقتل الانسان...

نرى موضوع الجهات يشغل حيزا لا بأس به ويذكر ملامح الوطن ويذكر مناطق وأسماء مدن وقرى والجنوب والشمال وغيرها ويذكر بالذات الجليل كثيرا، ربما بسبب حبه للجليل بالإضافة لكونه ابن الجليل. ولكن يبرز تعلقه في المكان وليس مجرد مكان انما يذكر اسماء القرى والمدن ويشدد على تلك العلاقة التي تتماهى مع حالات الحب التي يعايشها والصور الكثيرة التي تدور في فلك تحليقه العاشق. يخرج من الجليل والبلاد الى أماكن أخرى مثلا ص 48.

الكتاب مكثف بالأوصاف والاندفاع العاشق. كان من الاجمل والافضل حسب رأيي عدم التزام قافية التي تكررت في العديد من المقطوعات والتي بحسب رأيي قد تكون أجمل لو ترك لقلمه التحليق

كما شغفه دون الالتزام بقانون القافية والانحسار داخل قوالب تضعف النص والعرض.

يفاجئنا في عدة مواطن بانزياحه عن دائرة العشق ص 59 حيث يهدي قصيدة لروح الشهيد الاردني معاذ الكساسبة، وفي ص 39 وداعا لعام 2014 وفي ص 11 كبرت يا قيس... وكأننا لا نستطيع ان نمارس حالات الحب الكاملة دون التواصل مع الواقع الذي نعيشه في هذه المنطقة، الواقع الذي يفرض حضوره ووجعه في كلمة كل شاعر حساس...

الغلاف الأمامي: العنوان "قربان على مذبح الحب": يشرحه من خلال قصيدة ص 26 ويقول قربُكِ جَنتِي

هجرُكِ نكبَتِي/ أنتِ حُبِّي في سَهَرِي الطَّويلْ / أنتِ فَجْرِي وَصُبْحِيَ الجَمِيلْ / أحبُّكِ يا نجمةَ الرِّمْشِ الكَحيلْ

يا مَليكةَ الوَجْهِ الأثيلْ / أنا لكِ عُصْفورٌ وأنتِ عُشِي ليسَ لِي عَنْكِ بَدِيل / أنتِ غُنْوَتِي / أنتِ قصَّتِي /أنتِ عِشْقِيَ المسْتَحيلْ / أحِبُّكِ حُبَّ اللهِ لهابيلْ / أحِبُّكِ حُبَّ ابراهيمَ لإسماعِيلْ / أنا لكِ قرْبانٌ على مذْبَحِ الحُبِّ الأصِيلْ.

الغلاف الخلفي/ الخاتمة: يطرح قصيدة بينما نبحث عن عنوانها داخل الكتاب ونجده ص 38 "بدايتي ونهايتي". كما يبدو يدعونا من خلالها بكل شغفه وأنانيته كعاشق واندفاعه في التيه والولع يدعونا لنطرح

التساؤل: هل البداية حب؟ هل النهاية حب؟ وهل يقول الشاعر لنا بدايتي ونهايتي حب؟

يضع الشاعر لنا كتابا آخر قرب هيكل الحب عند مذبح العاشقين التائهين في زمن يحتاج الحب...

دمت بخير وابداع، دمت للكلمة والقلم. أحلى الأماني نحو اصدار جديد.

جودت عيد 15.6.2015

"أنا وأنتَ والشّعر"
ديوان الشاعر كمال ابراهيم

بقلم الدكتور: بطرس دلة

هذا هو الديوان الثاني الذي صدر للشاعر كمال ابراهيم هذا العام آب 2007. وقد زيّن صفحاته وصمّمه الخطّاط عصام بدر في الطغرة التي زيّن فيها اسمه على طريقة سلاطين آل عثمان. ورسم الغلاف الفنّان سليم عساقلة ابن المغار الذي أضاف بعض اللوحات من ريشته فجاءت هذه اللوحات لافتة للنظر وهو أمر يزيد من قيمة الديوان ويرفع من مستوى قبوله لدى جمهور القرّاء.

نحن نعرف أنّ عدد القرّاء في بلادنا قليل جدّا ولذلك فإنّ أي كاتب أو شاعر أو مبدع يصدر إبداعا مهما كان جميلا فإنّ الجمهور لا يشتري.

تحضرني هنا قصّة الأديب الذي أصدر كتابا جديدا وطبع منه عشرة آلاف نسخة على أمل أن تنفد سريعا. إلا أنّ هذا الكتاب ظلّ يتيما في معارض الكتب لم يشترِ منه أحد أيّة نسخة الى أن حلّ صديقه ثقيل اللسان مشكلة المبيع.

ما لمسته في هذا الديوان وبعجالة لأنّي قرأته مرتين قراءة متعة أوّلا ومن ثمّ قراءة دراسة، ولو كان لديّ متّسع من الوقت لحدّثتكم عنه طوال

ساعتين على الأقل، ما لمسته هو أنّ شاعرنا في هذا الديوان والديوان الأوّل اهتمّ كثيرا بمضامين القصائد ونجد أنّه يدعو فيه الى نشر الحريّة، المحبّة، العدل والسلام في العالم أجمع.

ما يجب تأكيده أنّ شاعرنا قد حقّق قفزة نوعيّة في هذا الديوان ليس في المبنى والقالب الشعري فحسب بل في المضمون أيضا. ويبدو أنّ شاعرنا يكرّس للقالب أو الشكل اهتماما أقل مما يكرّس للمضمون فهو في مضامين قصائده يتحدّث عن القضايا الإنسانيّة التي تقضُّ مضجعه خاصّة موضوع السلام والفقر والفقراء والأطفال والثكالى وتهمّه قضيّة الإنسان العربي من حيث كونه عربيّا. وهو يشعر أنّ الإنسان في بلادنا لا ينقصه شيء سوى السلام الحقيقي العادل وحقّ المساواة مع الإنسان اليهودي، وإذا ما تحقّقت هذه المساواة سوف نذوق كما يقول في قصيدته "! نعم الله" جميعنا طعم الحريّة.

ومرّة أخرى يحظى سلطان باشا الأطرش بقصيدة خاصّة عندما نقل تمثاله من مركز قرية حرفيش فهو يعزّ عليه هذا البطل لأنّه حيثما وضع تمثاله فإنّه سيظلّ البطل – لأنّه هو البطل.

وإذا صحّ لنا أن نستنتج شيئا من هذا الأمر فهو أنّ شاعرنا يتأثر بما يدور حوله من أحداث لأنّ له رأيا في كلّ ما يدور حوله وهذا الدور هو الذي نرجو أن يلعبه كلّ مثقّف عربي في هذه البلاد أو كلّ شاعر أو مبدع.

وإذا كان القرآن الكريم قد أوصى باحترام الوالدين بقوله: "وبالوالدين إحسانا" فإنّ شاعرنا لا ينسى والده فيذكره بقصيدة فيها شيء كثير من اللوعة لأنّ والده يمرّ أمام مخيّلته ويمدّ يده ليصافح هذا الوالد فلا يمدّ الوالد يده! معنى ذلك أنّ والده راحل وهو يتحسّر على زياراته التي لم تعد تتكرّر!

عرفت الأستاذ كمال إنسانا متواضعا ليّن العريكة منفتحا على الآخرين. إلا أنّه في هذا الديوان وضع نفسه في قصيدته " وصايا " واعظا للأستاذ الشّاعر حسين مهنا وواعظا في قصيدته " كن حسن الخصال "! ومع ذلك عندما يروقه أن يكون شاعرا يدّعي أنّ شعره هديّة مقدّسة من السماء! فهل هذه عودة الى ما كان المتنبّي قد ادّعاه منذ العصور الوسطى: النبوّة؟! أم ماذا؟!

الحقيقة أنّ في قراءة ما كتبه شاعرنا شيئًا كثيرًا من المتعة خاصّة لأنّه يعالج القضايا الحقيقيّة التي يعيشها في حياته اليوميّة – ثمّ إنّه يصوّر بالكلمات صورًا قلميّة جميلة لبعض المواقع وهذا الأمر يزيد من قيمة الديوان.

تحيّاتي لك يا أخي كمال نرجو لك التوفيق والى اللقاء في إبداع آخر.

بطرس دلة *

الأربعاء 21/11/2007

الشاعر علي هيبي حول مجموعة الشاعر كمال ابراهيم "صراع الكلمات"

يبني الشاعر كمال إبراهيم في القسم الأوّل من ديوانه الأخير على معادلة متضادّة في حدّيْها الوحيديْن، وهما الحبّ والمستحيل، وهو يقرّر وفقًا لتجاربه الغنيّة فنيًّا ولا أدري إذا كانت هذه التجارب حقيقيّة أيضًا، يبنيها على بديهيّة لا تحتاج إلى برهان في علم الهندسة المستوية ولا في علم الحبّ المجسّم بالكلمات والصور والصياغة المعبّرة عن عمق التجارب الفنيّة والمعاناة الواقعيّة. فالحبّ والمستحيل نقيضان.

يقسّم الشاعر ديوانه إلى قسميْن من ثلثيْن للقصائد الفصيحة (42 صفحة) وثلثٍ للأغاني بالعاميّة (24 صفحة)، ويجعل الحبّ موضوعه الرئيس في الأثلاث الثلاثة، مع بعض القصائد الوطنيّة، واحدة في القسم الأوّل، وكثير من السياسة والوطنيّة، واحدة في الحبّ في القسم الثاني. ولا أدري سرّ هذا التبادل أو التوازن المقصود أو غير المقصود؟!

إلى أيّ غزل يعيدنا كمال إبراهيم في قصائد هذا الديوان والدواوين السابقة، فمسيرته الإبداعيّة بدأت قبل 2006 وديوانه الأوّل "حديث الجرمق" صدر فيها وتوالت الدواوين وشقّت المسيرة عباب الإبداع لتصل إلى "صراع الكلمات"، لماذا تتصارع الكلمات سؤال آخر سأحاول

الإجابة عنه فيما بعد. أمّا السؤال المطروح فهو إلى أين يعيدنا الشاعر إلى أيّ غزل، فإنّي أرى أنّه يمزج بين صوت جميل بثينة العذريّ العفيف وبين صوت عمر بن أبي ربيعة اللاعذريّ وغير العفيف، كما اعتدنا التمييز بين هذيْن النوعيْن من الغزل، وكمال يؤكّد الحبّ هو الحبّ في كلّ العصور، والصدق هو الصدق والكذب هو الكذب، ولا أحد يستطيع أن يجدّد في المشاعر نحو المرأة الحبيبة والمعشوقة روحانيًّا، ولا أحد يستطيع أن يلغي الفطرة الإنسانيّة للشهوة الجسديّة نحو المرأة، وهي الفطرة التي خلق الله عليها الناس، ممّا يعني أنّ الحبّ العفيف والمكتفي بالقليل صادق وأخلاقيّ، وكذلك الشهوة الجسديّة صادقة ولا تتنافى مع الأخلاق ولا مع الدين، ولكنّ الشرائع وضعت قوانين وسننًا لممارسة الحبّ على الصورة الشرعيّة، وهو الحبّ الذي لم يكتب عنه شاعر واحد قصيدة واحدة! فهل هناك من كتب قصيدة حبّ في زوجته ورفيقة دربه وأمّ أولاده وربّة بيته. العكس هو الصحيح فإنّه يتركها هذه الحقيقيّة الرائعة للبيت والأولاد والرعاية البيتيّة ويكيل لها المديح والإطراء، عن روعة طبخها وغسيلها وكيّها لملابسه واعتنائها بأولاده وتعليمهم وصبرها وسهرها، ولا يكتب لها جملة شعريّة، ويذهب بملابسه الأنيقة ليحبّ غيرها ويكتب فيها جلّ أشعاره أو يكتب عن حبيبة موهومة مفترضة، وهذا هو الكذب بعينه، ولكن أعذب الشعر أكذبه، كما يقال عند

الرغبة في التهرّب أو التحايل. هل في شعر كمال ما يوحي بذلك؟ لا أستطيع أن أجزم "بلا". وهو لا يختلف بهذا عن أيّ شاعر آخر. لم يكتب كمال عن حبّ إلهيّ أو صوفيّ، بل مزج روحانيّة الأحاسيس بالرغبة الجامحة للجسد. وأين تمدّ يدك أو عينيْك في الديوان فستجد أمثلة على ما أقول.

فالمضامين بمعانيها وأفكارها طافحة ففي سائر القصائد سحر العينيْن ورقّة الشفتيْن ونكهة الخدّيْن وصفاء الوجنات والمذاق الحلو وحمرة الكرز وطعم الشهد ونكهة الخمر والرمش الكحيل والشعر المنساب وطراوة الخدّ، كلّ ذلك يزيد الشاعر شوقًا وحنينًا لا يقاوم للقاء الجميل بعد الفراق ولوعته ولو لساعة أو ساعتيْن، ولذلك يتردّد أكثر من بضع مرّات نداؤه لها "تعالي". هذا النداء المفعم بالرغبة والشهوة هو الانعكاس الجسديّ المملوء بالمشاعر النبيلة، ولكنّ المحرّك يبقى هو الجمال الجسديّ. وقد يصل كمال بالمعنى العذريّ الطاهر ما يجعلنا نستحضر الحديث النبويّ الشريف، فقد قال الرسول محمّد (صلعم): "من أحبّ فعفّ فكتم فمات مات شهيدًا". فالحبّ عند كمال لا يعرف مستحيلًا، ولا يعرف ممنوعًا ولا يغيّر من سموّ روحانيّته قوانين ولا حدود، استبدلتها "داعش" وغيرها من الحركات الدينيّة الفاشيّة والظلاميّة بالفحش وجهاد النكاح والذي هو محض زنًى، وهذا ما يفسّر ربّما وضعه لقصيدة "كلمة في داعش

النذل" والهجوم على السويداء وريفها، وعلى سوريا العربيّة العصيّة على القبول بالذلّ بكافّة وحدتها الوطنيّة وأبعادها القوميّة التي تجلّت في تآلف طوائفها ووقوفها مع الدولة العربيّة السوريّة ومع الجيش العربيّ السوريّ وحلفائه. داعش المتدشدش بالدين الكافر السعوديّ والمال النفطيّ القطريّ والصمت المصريّ الذليل وغاز السارين التركيّ والكيماويّ الغربيّ والرعاية الصحيّة وغير الصحيّة الإسرائيليّة. أم هذه القصيدة كانت مجرّد استطراد، والاستطراد أدبيًّا شرعيّ كما يريد الجاحظ عميد النثر العربيّ.

وعود على بدء: يفضح كمال العاشق للروح والجسد نفسه أمام تلك المرأة بنت الثلاثين عامًّا معترفًا بسذاجة بأنّه ابن ستّين، هل قلت لها أنّك أُحلت على التقاعد كي تعطف عليك، ولمزيد من التقبّل أم هو تكسير للحدود التي يستطيع الحبّ اختراقها، بما فيها فارق السنّ ولكنّ الفارق مضاعف في حالة كمال المسكين الصادق الذي لا يكذب إطلاقًا في عالم لا يتقن إتقانًا كاملًا إلّا الكذب. قل: "أربعون .. خمس وأربعون ... خمسون! يا أخي!

لا يمكن حصر كمال في دائرة واحدة من الحبّ، لأنّه في كثير من المواقف والحالات يمزج العفّة بالإباحيّة، فيكون في الأولى هامسًا دافئًا ورقيقًا وفي الثانية عاليَ الصوت ينادي للقاء تتشابك فيه النظرات والأكفّ والصدور وعطور اللقاء الشهوانيّ المنتظر، وهنا تهدأ الكلمات،

وعند اللقاء تصخب وربّما تتصارع، أيّ من الكلمات يصارع كي تخرج مؤكّدة للحبيبة الفرح بلقائها، تنزلق الكلمات عند اللقاء وتنفعل الأحاسيس "فيتبلكم" الشاعر عند اللقاء ولا يدري ما يقول، فتصارع الكلمات بعضها، وتعود للهدوء والسكون والهمس عند الفراق وبثّ المعاناة والحزن والاحتراق واللوعة، وذلك بعد التأكّد أنّ فرضيّة اللقاء كانت مجرّد لحظات وهم لا تغني من جوع جسدٍ ولا تسمن فراقَ روح. فالكلمات في حالة صراع ليس سياسيًّا بالتأكيد، فلا عمليّة سلام مع البعد ولا خارطة طريق للوهم ولا تفاوض مع الفراق، العدو اللدود ولا مناطق عازلة للأحاسيس الصادقة التي ستلتقي حتمًا بحبّ مبنيّ على الصدق، حبّ يجمع الحبيبيْن روحًا وجسدًا، فلا وجود للروح وحدها فلتبقَ في سرمدها إلى ما بعد الدهور، ولا جسد بلا روح فليبقَ في ترابه الفاسد إلى ما بعد النشور، الروح والجسد شيء واحد هو الإنسان، ولا حبّ بلا إنسان ولا إنسان بلا حبّ.

في قصيدة "أميرتي" يجسّد الشاعر نموذج الحبيبة التي تستحقّ وهج القصيدة هديّة لها، وهي لا تختلف بشخصيّتها وخصالها عن النموذج العربيّ العامّ للمرأة الجميلة وفقًا لشعر الغزل العربيّ القديم الذي حاول تطويره ورفده بمعانٍ جديدة شار المرأة الحديث نزار قبّاني.

ولا أنسى صدق كمال مع حفيديْه الحبيبيْن "أنيل وعلم" في هاتيْن

القصيدتيْن وفي هكذا مواقف لا يستطيع الإنسان أو الشاعر أن يكذب، وهنا يصحّ أن نقول: "أعذب الشعر أصدقه" بلا تردّد. وهو ما لخّصه الشاعر الكبير سميح القاسم بقوله عن حفيده:

"قارئ الشعر لا تسلْ عن جديدي أعذب الشعر بسمة من حفيدي".

في القسم الثاني من الديوان يبرز كمال أغانيه ذات المضامين الوطنيّة وهو يسوقها باللغة المحكيّة لسببيْن برأيي، الأوّل لتسهيل تلحينها وغنائها وهو ما فعله ملحّنون ومغنّون من بلادنا ومن الأقطار العربيّة، والثاني لتسريع انتشارها ووصولها إلى الشرائح الشعبيّة، وبثّ الروح الوطنيّة وتحميس الناس ونزع الشعور بالإحباط من نفوسهم رغم ما يعانيه ويرزح تحته الوطن العربيّ من مآسٍ جسام.

وهو يؤكّد انتماءه إلى الوطن الكبير فلسطين وإلى القوميّة العربيّة على طريق سلطان باشا الأطرش وسيدي سلمان وغيرهما من المناضلين العرب المعروفيّين وإلى وطنه الصغير "المغار" ويقدّمه بهيّة جميلة بوحدتها الوطنيّة وتآخي طوائفها وشموخ معالمها الإسلاميّة والمسيحيّة والدرزيّة، هذه المعابد التي تحمل زيادة على دلالاتها الدينيّة بعدًا وطنيًّا وتبرز شخصيّتنا الحضاريّة العربيّة وهويّتنا الثقافيّة الإنسانيّة.

ففي كلّ القصائد/الأغاني يقدّم الشاعر صورة الوطن ورجاله وعاداته

ومناضليه الأباة ويحنّ إلى الماضي بنشط لحظة رقيقة تحنّ إلى شخصيّة جدّه، الفلّاح المتشبّث بالأرض وصورة المناضل الحرّ الذي يرفض الضيم ولا يبخل بروحه فداءً للمبادئ الوطنيّة وقيم الحريّة والتقدّم والحياة المشرقة.

وهو يعطينا صورة عن صمود سوريا وصمود السويداء ودحرها لداعش بالوقوف مع الدولة السوريّة والجيش العربيّ السوريّ. ولا ينسى كمال ما يدور حولنا كعرب في بلادنا، وما تمارسه السياسة الرسميّة للحكومات المتعاقبة وأبرزها قانون التجنيد الإجباريّ المبنيّ على حلف كاذب، وأخطر هذه القوانين هو ما اتّخذته الكنيست أخيرًا وهو قانون القوميّة الذي يقلّل من مكانة لغتنا العربيّة الجميلة والعالميّة ويشوّه حضارتنا وثقافتنا الإنسانيّة والتي لما تغب شموسها عن الغرب.

أخيرًا أبارك لصديقي كمال الإنسان الطيّب والشاعر المكثر هذا الديوان وأطالبه بالمزيد من الإبداع وأبارك له ولكم هذا التكريم اللائق وما أشعر به، أنّكم حين تكرّمون شاعرًا وديوانًا، فإنّكم في الحقيقة تكرّموننا جميعًا. أشكركم على صبركم وحسن إصغائكم.

الإصدار: تشرين أول أكتوبر 2018

"أوركسترا السُكون"/كمال إبراهيم دراسة النّص الموازي والمتن والعناوين

د. نبيل طنوس

"سِرْ على دربِ الهُدى
كما شعيبُ علَّمنا
وموسى وأحمدُ ويسوعْ"
(الشّاعر)

النّص الموازي، المتن، العناوين، Arspoetic، الإرداف الخُلفي هي مصطلحات دراسة كتاب الشّعر "أوركسترا السُكون"/كمال إبراهيم والتي جاء بها الشاعر لخدمة مضامين القصائد: التعدديّة الثقافيّة، التواصل، والقيم: التسامح، الحريّة، العفو، كرامة الانسان، الأمنيات، الدعوة إلى البدء بعمل ما لتحقيقها ويتوج هذا كله بقصيدة "زغرودة" والتي يعرض فيها نظريّته الشعريّة. ويقول: متى أكتب الشّعر؟ سأقوم بمحاولة التطرّق إلى هذه النّقاط في مقالتي هذه محاولًا الوصول إلى العلاقات فيما بينها.

هذه القراءة هي قراءة سيميائيّة تبحث في الأشكال الفنيّة الخارجيّة للكتاب، أما بالنّسبة للمضامين وعمقها سأتطرّق إليها فقط لحاجة المقال وهي بحاجة لقراءة أُخرى.

محتويات الكتاب:

1) النّصوص الموازية/المرافقة Paratext)):

أ. الغلاف وكلّ ما عليه: اسم الشّاعر، عنوان الكتاب، صور وأشكال، ألوان، كلمات خطوط وغيرها.

الغلاف الخلفي ومحتوياته من أشكال وصور وكلمات وألوان وغيرها.

ب. الغلاف الداخلي.

ت. الإهداء.

ث. فهرست.

ج. إصدارات للمؤلّف.

2) المتن Maintext)): يحتوي المتن على 25 قصيدة. يفتتحها بقصيدة "أوركسترا السُّكون" والتي اختارها عنوانا رئيسًا للكتاب.

3) عناوين القصائد (25) :Titles عنوان.

1) **النّصوص الموازية/المرافقة** Paratext:

يقول العدواني (2002) "لكل بناء مدخل، ولكل مدخل عتبة، ولكل

عتبة هيئة، ولأن العتبات همسات البداية "فقد اهتمّت السيميائيّة الحديثة بدراسة الإطار الذي يحيط بالنّص، كالعنوان، والإهداء، والرّسومات التوضيحيّة، وافتتاحيات الفصول وغير ذلك من النّصوص التي أُطلق عليها (النّصوص الموازية)، والتي تقوم عليها بنايات النّص... "ولهذا دور هام في دراسة الإنتاج عن طريق نقل مركز الاهتمام من النّص المتن إلى النّص الموازي، وهو أسلوب مهم في دراسة النّصوص – المتن، حيث أن النّصوص الموازية هي أول ما يواجهه المتلقّي، ومن المتوقّع أن تنطوي على معلومات تعرّفنا بالنّص.

ويحتوي النّص الموازي/المرافق على: اسم المؤلّف، العنوان الرّئيس (اسم الكتاب)، العنوان الفرعي، العنوان الدّاخلي، الإهداء، شعار (موتو) الدّيباجات، التّذييلات، التّنبيهات، التّصدير، الحواشي الجانبيّة، الحواشي السفليّة، الهوامش، الزّخرفة، الرّسومات، نوع الغلاف، لون خلفيّة الغلاف وألوان أخرى وإشارات أخرى، ودار النّشر، وبلد النّشر، وسنة الإصدار وغيرها، وأحيانًا وخاصّةً على الصّفحة الأخيرة تعريف بالكاتب وإصداراته. من الجدير أن نعرف أنّ النّص الموازي هو ليس النّص الإبداعي نفسه (الرّوائي، الشّعري وغيره) والذي نسمّيه المتن.

ويعدّ النّص الموازي من المفاهيم النقديّة التي اشتغلت عليها الشّعرية الغربيّة، وقد كان جيرار جنيت (Gérard Genette)) من طرح هذا

المصطلح، فما يهمه ليس النّص وحده، وإنما التّعالي النّصي والتفاعلات الموجودة بين النّصوص، وقد عرّف جنيت النّص الموازي في كتابه كما أشار إلى ذلك د. عبد الفتاح الحجمري (1996) بأنّه عبارة عن ملحقات نصيّة وعتبات نعبرها قبل ولوج أي فضاء داخلي، كالعتبة بالنّسبة إلى الباب، أو كما يقول المثل المغربي: أخبار الدار على باب الدار، أو كما قال جنيت نفسه في شكل حكمة : احذروا العتبات!!

أمثلة من الكتاب:

أ. الغلاف: يتكوّن الغلاف من صفحة ذات خلفيّة بيضاء مما يوحي لنا بالنّقاء والطّهارة وفي أعلى صفحة الغلاف الخارجيّة نجد عنوان الكتاب "أوركسترا السُّكون"، وفي أسفل الصّفحة نجد اسم المؤلّف "كمال إبراهيم" بشكل مجرّد بدون أي صفة أو مركز، وفي الوسط صورة "كمان" بلون بنّي فاتح وبجانبها من جهة اليسار كلمة "شعر" التي تدلّ على النّوع الأدبي، والكمان يتماثل مع العنوان وخاصّة بكلمة "أوركسترا". على يسار هذه الصّفحة خطوط طوليّة مختلفة العرض وأربع دوائر باللون البنّي مختلفة الحجم. أعتقد أن هذه الخطوط مع الدّوائر الأربعة حلّت محل خطوط/أسطر النّوتة الموسيقيّة والّتي تكون عبارة عن خطوط متساوية الحجم وعليها النّوتات بشكل مرتّب، أمّا هنا فالخطوط غير متساوية وعليها دوائر بدلًا عن شارات النّوتة مما يدلّ على سكون

الموسيقى أي أنّ هذا الشّكل، أي النّوتة الموسيقيّة المشوّهة تتماثل مع العنوان "أوركسترا السُّكون" وتعني عدم وجود موسيقى وعدم وجود نوتة موسيقيّة، وذلك يظهر من التناقض بين أوركسترا وبين سكون. وهذه صورة بيانيّة تمزج بين متناقضين في تعبيرٍ واحد نسمّيه "إرداف خُلفي" (أوكسيمورون) سنتطرق إليه تحت فصل عناوين القصائد لاحقاً.

ب. الغلاف الخلفي يحتوي على صورة الشّاعر وهو جالس ويعطي انطباعاً لإنسان يتأمّل حاملًا القلم ويكتب، وهكذا تبرز رغبته في تعريفه لنفسه: هكذا اعرفوني: أتأمّل وأكتب. يحتوي هذا الغلاف أيضًا على مقطع من قصيدة الشّاعر "أنشودة" ص 55، ممّا يتماثل مع رموز صورته. وتوجد أيضًا الدّوائر والخطوط الموجودة على غلاف الوجه الأوّل ونفس الألوان، ممّا يؤكّد أوركسترا السُّكون أي حالة لا–موسيقيّة.

ت. أمّا صفحة الغلاف الثانية من الأمام صفحة بيضاء ناصعة وأعتقد أنّها كذلك بطريق الصّدفة، واكتفى الشّاعر بكتابة عنوان الكتاب بخطٍّ كبير وتحته بخطٍّ صغير كلمة "شعر" للدّلالة على النّوع الأدبي. ومن الأسفل اسمه بخطٍّ صغير ومجرّد من أيّ تعريف. أمّا ظهْر هذه الصّفحة فلونها أبيض ناصع، وفي أسفلها تاريخ الإصدار "آب 2012" واسم دار النّشر: إصدار: الحقيقة. كفر ياسيف ورقم الهاتف وتحتها نجد: حقوق الطّبع محفوظة للمؤلّف ورقم هاتفه ممّا يعكس رغبته إعلامنا أنّه هو

المالك الوحيد للكتاب ومن يرغب باقتنائه فإليكم رقم هاتفي!

ث. الإهداء مع توقيع الشّاعر على صفحة منفردة:

إهداء

"إلى الّذين يزرعون بذور المحبّة والتّسامح في قلوب البشر، إلى طالبي الحريّة واقتلاع ظواهر التعصّب والاضطهاد، إلى كلّ المحبّين أُهدي مجموعتي الشعريّة هذه- كمال إبراهيم".

بنظرة خاطفة إلى هذا الإهداء نتعرّف إلى القيم الّتي ينادي بها الشّاعر: المحبّة والتّسامح والحريّة واللا تعصب واللا اضطهاد. ونحن نتوقع أن نجد هذه القيم في النّص المتن.

ج. فهرست يحتوي على عناوين القصائد (25 قصيدة). عنوان القصيدة الأولى "أوركسترا السُّكون" هو العنوان الرّئيس للكتاب. وهنا يريد الكاتب إبراز العلاقة بين عنوان الكتاب كنص مواز وبين النّص المتن ولهذا السبب اختار عنواناً لإحدى القصائد وهذا أمر متبع أحياناً. فمحمود درويش، مثلًا، اختار لكتاب "أثر الفراشة" عنوانا لإحدى قصائد الكتاب نفسه. أمّا عناوين القصائد الأخرى سنتطرّق إليها في فصل النّص المتن "عناوين القصائد".

ح. صدر للمؤلّف: أسماء كتب الشّاعر حتى الآن (7 كتب مع هذا الكتاب). وهنا تنعكس رغبة الشّاعر في كيف يريد تعريف نفسه للقرّاء:

اعرفوا أنّ هذا الكتاب الّذي بين أيديكم هو ليس أوّل كتاب لي. إنّه الكتاب السابع!

2) **المتن** (Maintext) **هو النّص الأصلي**:

جاء في معجم المعاني الجامع:

متن الكتاب: الأصل الذي يشرح وتضاف إليه الحواشي .

متن اللغة: أُصولها ومفرداتها وألفاظها.

متن الحديث: غاية ما ينتهي إليه الإسناد من الكلام.

قدّم لنا الشّاعر كمال إبراهيم نصّه الشّعري على أنّه مجموعة قصائد تتحدّث عن أحداث كثيرة وهي كالأوركسترا ولكن يميّزها السُّكون، وقد يتصوّر القارئ أنّه سيجد مقطوعات موسيقيّة هادئة، ولكنّنا بالمقابل نجد أنّه يقدّم لنا مجموعة قصائد كالأوركسترا تتحدّث عن مواضيع مثل التّواصل مع الآخر والأمنيات والاكتراث بالآخر وكرامة الإنسان والتعدديّة.

يقع الكتاب في 65 صفحة من القطع الصّغير، صدر عن دار الحقيقة في كفر ياسيف سنة 2012 وقد جاء الكتاب ب 25 قصيدة.

مواضيع المتن:

تدور مواضيع المتن حول ثلاثة أمور رئيسيّة: التّواصل مع الآخر، قيم إنسانيّة وماهيّة/فن الشّعر (Arspoetic).

1. التواصل: مع عشيقته ومع قريته ومع النّاس.

أ. التّواصل مع عشيقته: القصيدة الأولى "أوركسترا السُّكون" (ص 7). كلمة أوركسترا تعكس التناغم والحركة والأصوات وتظهر رغبته ولوعته وشغفه للقاء عشيقته ولكن هذه الأوركسترا ساكنة: "هل من لقاء" و"رأيتك في حلمي" يعني علاقة ساكنة. في جميع قصائد التّواصل مع العشيقة نجد أوركسترا السُّكون، أي حب ولهفة من طرف الشّاعر وسكون أي عدم تجاوب من العشيقة. وكذلك القصائد: فراق (ص 15)، مُهجة النّفس (ص 17)، عشيقة درب (ص 21)، سئمت الانتظار (ص 32)، أُنشودة الحب (ص 37)، قِصّة عُمر (ص 39)، دمشقيّة (ص 45).

ب. التواصل مع قريته: قصيدة "الليل في المغار" (ص 12)، نجد هنا تعابير نربطها مع أُوركسترا السُّكون.

أُوركسترا: أزيز ناعم، أُوركسترا، تتناغم، مهبّ الرّيح، أسمع عويل بنات أوى، صياح الديك.

السّكون: سكون، لا أسمع، يتوقف الضّجيج، الليل النّاعس.

ت. التّواصل مع النّاس: تشمل كلمة النّاس ثلاثة جوانب: أقربائه، طائفته (الدرزيّة) وشعبه العربي.

قصيدة "صورة جدي" (ص 59) وهي قصيدة مفعمة بالحركة: تَحولُ، حوَّلت الصّخر فتاتًا، زرعت، جعلت، سقيت، تزرع وتقلع، تغرس،

زيّنت. قصيدة أوركسترالية غير ساكنة ولكنّها تتماثل مع موضوع "الإهداء" على الغلاف الدّاخلي للكتاب.

التّواصل مع طائفته وورد ذلك في القصائد: "أهلا بوفد التّواصل" (ص 11)، يا مرشد الخلق والعباد (ص 24)، مرحبا بأهل التّواصل (ص 51). هذه القصائد مفعمة بتعابير حركيّة: عاد، زار، يعود، أهلًا بكم، أهل التّواصل، مرشد، باعث، ناصر، سائرين، يشمخ، تزهو، رسمتم، رفضتم، نفضتم، نقلتم، قدمتم.

أيضًا هذه قصيدة أوركسترالية غير ساكنة ولكنها تتماثل مع موضوع "الإهداء" على الغلاف الدّاخلي للكتاب.

ث. التواصل مع شعبه العربي وورد ذلك في القصائد: "لحن الخلود" (ص 26)، "أبيات مهداة لأبي القاسم الشابّي" (ص 42)، "الرّبيع العربي" (ص 48). قصائد مفعمة بالحركة والعنفوان: ريح، تهبّ، تنثر، تلتقي، ترسمان، ترفرف، ترقص، جوبي، هبّي، ينتفض، ثائرة، تناجيها، بركان، صاحت، ثارت، تقارع، وقصيدة "الرّبيع العربي" مفعمة بالحركة وبتعابير عزة النّفس والكرامة.

أيضًا هذه القصائد أوركستراليّة غير ساكنة ولكنها تتماثل مع موضوع "الإهداء" على الغلاف الدّاخلي للكتاب "إلى طالبي الحريّة واقتلاع ظواهر التعصّب والاضطهاد".

2. **القيم الإنسانيّة**: ورد في قصائد الكتاب نداء للاهتمام بالآخر والتّسامح، والحريّة، والعفو، والحفاظ على كرامة الإنسان. القصائد: "آن الأوان" (ص 19)، "أُنشودة الحب والسّلم" (ص 30)، "لتشرق الشّمس"(ص 35)، "نص قد يكون خاطرة أو قصيدة"(ص 43). ونظرًا لأهميّة القيم يحذّر الشّاعر من عدم التّمسك بها. قصيدة "يوم الحساب"(ص 46)، وقصيدة "أُنشودة"(ص 54).

تتماثل هذه القصائد مع موضوع "الإهداء" على الغلاف الداخلي للكتاب، ولا توجد علامة بارزة لعلاقتها بالعنوان.

3. **ماهيّة/فن الشّعر** (Arspoetic):

هي ظاهرة التي فيها يتعامل الفن مع الفن والإنتاج. إنها تفكير تأمّلي (رفلكتيفي) يراجع الشّاعر فيها شعره ويكون في مركزها تعابير لها علاقة بسيرورة الكتابة، مثلا دوافع الكتابة وأسبابها وأهدافها ونجد فيها أيضًا تعريف لما هو الشّعر، بكلمات أُخرى يتحدّث الشّاعر عن كيفيّة كتابته.

"A poem should not mean but be.

A poem should be wordless as the flight of birds

A poem should be motionless in time

(As the moon climbs.(By Archibald MacLeish

ماهيّة/فن الشّعر ورد في قصيدتين: "زغرودة" (ص 28) و"أيّها العابرون" (ص 61). وأخصّ بالذّكر قصيدة "زغرودة" والّتي يروي لنا الشّاعر فيها متى يكتب الشّعر؟ في أي حالات؟ ونجد دلائل على الزّمن والحالات والنّتيجة:

زمن الكتابة: الفعل "عندما" ظَرْفٌ لِزَمَانٍ، ورد عشر مرات.

حالات الكتابة: تحتوي على أفعال تدلّ على الحركة وعلى الحيويّة:

عندما يصدح الطّير، يشعّ نور، يزهر الغصن، ترتوي الأرض، يشفى الطّفل، يرجع المهاجر، يلتقي الحبيب، يكشف العريس عن وجه عروسته، تكتسي الأرض، ينبت الفطر، يتحرّر الشعب، تعلو الأهازيج.

النّتيجة: تبدأ النّتيجة بكلمة "عندها" وهي ظَرْفٌ لِزَمَانِ الْحَدَث: والنّتيجة هي:

"عندها تتفجَّر في القلب القصيدة
وَيَنظُمُ الشّعرَ كبارُ الشّعراء"

في القصيدة الثّانية "أيها العابرون" يعرض فيها ماهيّة شعره وأنّه عندما يعود سيكتب:

"شعرًا جميلًا
يردّده الصّغار والكبار
عبر العصور والأجيال.

شعرًا كلّه مآثر
يروي قصّة وطن
عاش القهر والذلّ
وويلات الحروب.
شعرًا ينشد الحبّ والسّلم
لكلّ الشعوب"

هذه قصائد أوركستراليّة غير ساكنة ولكنّها تتماثل مع موضوع "الإهداء" على الغلاف الداخلي للكتاب، وذلك أنّ الحالات الّتي يكتب فيها الشّعر تتّسم بالقيم الإنسانيّة.

3) **عناوين القصائد** (Titles)

الجزّار (1998) كما ورد في فحماوي وتد (2013) يعرّف العنوان مبدئيًا من خلال التّعريف الاصطلاحي التّالي: "العنوان للكتاب كالاسم للشّيء. به يعرف وبفضله يُتداول ويشار به إليه ويدلّ به عليه". وترى فحماوي وتد (2013) يؤسّس (المؤلّف) علاقته هو بالنّص من خلال العنوان. والعنوان بالنّسبة للمؤلّف يمثّل أكثر من مجرّد قراءة، بل يمثّل خيارًا لما يريد لنصّه أن يقول. ويعبّر عمّا يمثله النّص بالنّسبة إليه كمنتج له. المؤلّف يتأوّل العمل لوضع العنوان قبل أن يتناول المتلقّي العنوان من خلال النّص.

نحن نرى بأنّ عنوان النّص هو كإسم المولود، فأحيانًا نختار الاسم قبل الولادة وأحيانًا ننتظر إلى ما بعد الولادة وأحيانًا نسّمي المولود تيمّنًا بشخصيَّة نقدِّرها أو تأمّلًا مستقبليًا وفي جميع الحالات الاسم/ العنوان الّذي نعطيه للمولود/للنّص يعكس فكرنا وأحاسيسنا وما يجول بعالمنا نحن.

العنوان الرّئيس: "أوركسترا السُّكون" وهو صورة بيانيّة نسمّيها أرداف حُلفي Oxymoron وهو كما تعرّفه أبو جابر برانسي (2013) صورة بيانية تجمع بين متناقضين مما يمنحهما معنى جديدا: صوت السُّكون، غضب المحب. الأوكسيمورون هو مميّز مهم للّغة الشعريّة الحديثة، إنّه ظاهرة استعاريّة مجازيّة في الشّعر العربي وفيه تمازج ضدّي.

القصيدة الأولى تحمل اسم عنوان الكتاب وكما يبدو أعْجَبَت الشّاعر واستعملها أيضًا ليسمّي الكتاب بنفس الإسم وأنا اعترف أنّ التّسمية هذه، ولأنّها أعجبتني شدّتني لقراءة الكتاب وكتابة مقالتي هذه.

باقي العناوين ال 24 لها علاقات مباشرة بالقصائد وهي تسميات عاديّة لا مجازيّة تعرّفك بشكل مباشر بالنّص، فمثلا القصائد "أهلًا بوفد التّواصل" و"مرحبًا بأهل التّواصل" تشير إلى مضمون القصائد وهو وفد من الطّائفة الدرزيّة. أو قصيدة "الليل في المغار" تعرّفنا أنّ الشّاعر سيصف لنا الليل في بلده المغار. والقصائد "عشيقة درب" و"فراق" و"سئمت

الانتظار" تدلّنا أنّ المضمون غزليّ وهكذا مع القصائد الأخرى.

من هنا نرى بأنّ للعنوان أهميّة خاصّة وذلك بسبب ارتباطها بالمضمون وكما نقول بالمثل: " المكتوب يُقرأ من عنوانه".

الخاتمة:

كما أشرت لقد شدني عنوان الكتاب "أوركسترا السُّكون" لقراءته وازداد إعجابي به عندما قرأت "الإهداء" ورغبت بقراءة غير عاديّة وهي دراسة النّص الموازي/المرافق للنّص الأصلي/المتن. لقد اهتممت أكثر بالنّص الموازي وحاولت فحص مدى علاقته بالنّص الأصل، وبعد ذلك خصّصت بعض الإضاءات حول العنوان الرّئيس وعناوين القصائد. شدّتني كثيرًا قصيدة "زغرودة" الّتي أعتبرها قصيدة تحكي عن فنّ الشّعر ولذلك خصّصت لها عنوانًا منفردًا. لم أتطرّق إلى مضامين النّص إلّا بالقدر الذي احتجته لخدمة النّص الموازي/المرافق. في جميع الحالات أودّ الإشارة إلى أنّ مضامين المتن مباشرة وواضحة.

المصادر

1. إبراهيم، كمال.(2012). أوركسترا السُّكون. شعر. إصدار: الحقيقة. كفر ياسيف.

2. أبو جابر برانسي، ريما. (2013).الإرداف الخُلفي (الأوكسيمورون) في الشعر العربي الحديث ومساهمته في بناء المعنى. إصدار: مكتبة كلّ شيء: حيفا ومجمع لقاسمي للّغة العربيّة: باقة الغربيّة.

3. العدواني، معجب. (2002). تشكيل المكان وظلال العتبات. النادي الأدبي الثّقافي- جدّة، الطّبعة الأولى.

4. الحجمري، عبد الفتاح. (1996) . عتبات النّص. الدّار البيضاء.

5. فحماوي وتد، عايدة. (2013). في حضرة غيابه، تحولات "قصيدة الهويّة" في شعر محمود درويش. إصدار: مجمع القاسمي للّغة العربيّة، أكاديميّة القاسمي ومكتبة كلّ شيء. حيفا.

*****

نشر المقال في:

1. موقع سبيل-المغار.

http://www.sabeel.co.il/news-238,N-12033.html

2. جريدة "الاتحاد" الملحق الادبي، 10.10.2014 ص. 14-15. حيفا.

3. موقع الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، ملحق الاتحاد:
/http://www.aljabha.org

4. موقع الموقد، موقع الثقافة والفنون. http://www.almawked.com/?page=de
.tails&newsID=6500&cat=2

صدر للمؤلف

* حديث الجرمق (شعر – مطبعة المغار، تشرين ثاني 2006)
* أنا وأنتَ والشعر (شعر – مطبعة المغار، آب 2007)
* دراسات في الأدب (دراسات – مطبعة المغار، تشرين ثاني 2007)
* الفجر الأزرق (شعر- مطبعة جاليري صقر، المغار، تموز 2008)
* آخر النفق (شعر – مطبعة الحقيقة –كفر ياسيف ، شباط 2009)
* رحلة الطيور المهاجرة (شعر- مطبعة الحقيقة،كفر ياسيف، أيلول 2010)
* أوركسترا السكون (شعر- مطبعة الحقيقة، كفر ياسيف، آب 2012)
* همس السكون (شعر- مطبعة الحقيقة، كفر ياسيف،شباط 2013)
* غزليات (شعر- مطبعة NR – المغار، تشرين أول 2013)
* أغنية الورد والياسمين (شعر-مطبعة-NR المغار، نيسان 2014)
* أنت قصيدتي (شعر-مطبعة -NR المغار، تشرين ثاني 2014)
* قربان على مذبح الحب (شعر- مطبعةNR- المغار، نيسان 2015)
* رحلة مع الفجر (شعر – مطبعة الحقيقة –كفر ياسيف، أغسطس 2015)
* رذاذ ومطر (شعر- مطبعة الحقيقة- كفر ياسيف،كانون أول 2015)
* رحيق وعسل (شعر- دار الحديث – عسفيا- نيسان 2016)
* لمسة حُب (شعر – دار الحديث – عسفيا تشرين أول 2016)
* عطر وجوى (شعر - دار الحديث – عسفيا آذار 2017)
* جرعات شوق (شعر- دار الحديث – عسفيا، اكتوبر 2017)
* حب في كل الفصول (شعر – دار الحديث – عسفيا، مارس 2018)

* صراع الكلمات (شعر – دار الحديث – عسفيا، أيلول 2018)
* نسمة الروح (شعر – دار الحديث – عسفيا، شباط 2019)
* حب في المجرة (شعر – دار الحديث - عسفيا، أيار 2019)
* شغف العمر (شعر – دار الحديث – عسفيا، أيلول 2019)
* جمر وحريق (شعر – دار الحديث – عسفيا، كانون ثاني 2020)
* فاتورة الحب (شعر – دار الحديث – عسفيا، ابريل 2020)
* أنغام الحروف (شعر – دار الحديث – عسفيا، آب 2020)
* وهج الشوق (شعر – دار الحديث – عسفيا، تشرين ثاني 2020)
* روحانيات (شعر – دار الحديث – عسفيا 2021)
* روحانيات 2 (شعر – دار الحديث، عسفيا 2021)
* أحب الشمس (شعر – دار الحديث – عسفيا 2023)
* روحانيات 3 (شعر – دار الحديث – عسفيا، حزيران 2023)
* النزاهة (شعر – دار الحديث – عسفيا، كانون الثّاني 2024)
* روحانيات 4 (شعر – دار الحديث – عسفيا، أوائل أيار 2024)
* روحانيات 5 (شعر – دار الحديث – عسفيا، أواخر حزيران 2024)
* روحانيات 6 (شعر – دار الحديث – عسفيا، أواخر أوائل آب 2024)
* روحانيات 7 (شعر – دار الحديث – عسفيا، أواخر أوائل أيلول 2024)
* روحانيات 8 (شعر – دار الحديث – عسفيا، تشرين الأوّل 2024)
* إضاءات على شعر كمال إبراهيم – دار الحديث – عسفيا، تشرين الثاني 2024)